الذبائح

مأساة عصرية في اربعة فصول تأليف

انطون يزبك



شركة مطبوعات « القرطاس »

بمصر

الذبائح

مأساة عصرية في اربعة فصول تأليف

انطون يزبك

مثلتها لأول مرة فرقة الأستاذ يوسف بك وهبي في ١٩ اكتوبر سنة ١٩٢٥ بمسرح رمسيس بمصر



شركة مطبوعات « القرطاس »

بشارع محمد مظلوم باشا نمره ١

بمصر

الذبائح

واقوال النقـــاد فيهـــا

قال الاديب الفاضل محمد افندى عبد المجيد مبتكر نقد الروايات العربيـة فى جريدة « كوكب الشرق » الغراء

اما اليـوم فدعونى اصفق طويلاً ، ودعونى أهتف عالياً « برافو متر يزبك »

ولماذا لااصفق وقد ارغمنى على التصفيق ؟ ! ولماذا لااهتف له وقد انتزع منى الهتاف انتزاعا ؟ !

فى مساء الاثنين ١٩ اكتوبر سنة ١٩٢٥ الساعة التاسعة تماما رفع الستار . . . وبعد ثلاث ساعات ، اسدل بين دموع منهمرة وأنات متصعدة وتأوهات مترجحة ، ونفوس تكاد تشتعل اسى ، وقلوب توشك أن تحترق ألماً ثم فجأة انهمر سيل التصفيق دقائق عدة ، وخرج الناس وهم سكوت يمسحون دموعهم حتى حين !

كنا نظن يوم شـاهدنا « عاصفه فى بيت » ان نفسية المؤلف لن تبلغ فى الألم الى ابعد من ذلك العمق ولـكنا شاهدنا « الذبائح » فاذا هو قد بلغ اضعاف مابلغه فى المرة الاولى ... وغداً سترى روايته الثالثه « الغربان » ولا يعلم الا الله مايكون اذ ذاك ! !

الاستـاذ انطون يزبك رجل تجارب عركته الحياة ، وتقلب هو على مرها وحلوها ، فخبر منها مالم يخبره الـكثيرون ، واخيراً بعد جهاده الشاق هذا ، جلس الى مكتبه ، وقـد الهبت التجارب راسه ، وانحل الجهـاد جسمه ، واخذ يخرج لنا الرواية تلو الرواية

أما افكاره فهى مستمده من الحيـاة المصرية البحتة ، فهو انما يعـالج امراض البيئـة الشرقية فيعرضها لك على المسرح فى أبشع صورة ، واشدها تأثيراً على النفس ، وامتلاكا للعواطف

وله طريقة خاصـة فى تأليفه ، فهو ولا شك يقصد الى ابراز فكرة معينة يضع لهـا مقدماتها ونتيجتها ، ولـكنه فى اثنـاء السير بك الى تلك النتيجة ، قد يخلق مناسبات يعرض فيها لادواء وعلل اخرى ، فيحللها جيعاً ، ويعالجها ، أو يصف لك العلاج من طرف خفى ، او يظهر لك بشاعتها وخطرها ويترك لك امر التفـكير فى العلاج

فاذا جلس الرجل ليكتب ، فهو يوقظ أولا حاسته المتألمه التى تقطر دما ، فينسج منها هيـكل القصة ، وهكذا يصبح من المقرر أن القصة ستكون من اقوى أنواع « الدرام » ، أو « الميلودرام » !

بعد ذلك — وبعد أن تكون الفـكرة قد ارتسمت ، والطريقة قد كملت ، والهيكل قد وضع اى بعد ان ينتهي دور الرجل المفـكر — يأتى دور الصانع الماهر ! ! والاستـاذ يزبك يستعمل كل انواع المؤثرات اللفظية ، ويستعين بالدموع والتنهدات ، ثم يستنجد بالاساليب التى تثير الرهبة، وتملأ الجـو برائحة الفزع والهـول فيهبط تارة ويرتفع اخرى ، ويتوسط حيناً . . . فاذا هبط فهو يقتلع الجذور ، واذا توسط فهو يحلل ويعالج واذا ارتفع ، فهو يسمو بك الى عالم جديد !

يكتب الاستاذ يزبك رواياته باللغة « العامية » وربما كان الاصح أن تسمى اللغة « العادية » فهى

ليست بالعامية المنحطة ، التي تفسد موضوع الرواية ، وتصرف الجمهور سأما وازدراء عن الاهتمام بسياق الحوادث والوقائع . . . ليس فيها تعبير بذيء ، ولا كلمة شاذة ، ولا جملة ينبوعنها الذوق ... هي ليست لغة العوام والمتسكعين ، وانما هي لغة التخاطب المصرية التي يقبل عليها الخواص ، والتي يرضاها العوام

ربما تستطيع ان تقول أنها لغة موسيقيه ، فهو ينتقى الفاظها وتعابيرها ، ويكثر من ضرب الامثال واستعمال التشبيهات القوية المؤثرة ، ويصوغها جيماً في بساطة تامة تروع ولا تضجر ، وتسحر ولا تمل

لاشك ان لغة الرواية مما يساعد على نجاحها وكم من رواية لم تنجح لان لغتها كانت عقيمة ملها الجمهور وسئمها فانصرف عن الرواية . . . أما انطون يزبك فلغته ذات ضرب واحد ، ليس فيها من الضخامة مايدعو الي استجداء التصفيق و انتهاب الاستحسان . وليس فيها من العوامل البسيكوجية شيء كثير ، ومع ذلك فهي ناجحة ، لانها لغة حبيبة الي القلب عزيزة على النفس ، خفيفة على الاذن ، ملائمة لذوق جميع الطبقات

وقال الفاضل سعيد أفندى عبده الكاتب القصصي الشهير في جريدة (الصباح) الغراء

هذا هيكل رواية « الذبائح » لمؤلفها الاستاذ انطون يزبك أما لحمها وعصبها ودمها فسلسلة من العادات المصرية وضعها المؤلف تحت ميكروسكوبه الدقيق . هذه الرواية لاأشهد لها انا ، ولكن تشهد لها تلك الزفرات التي كانت تتصاعد من صدور الشهود بين الموقف والموقف وتلك الدموع التي كانت تبلل خدودهم . بين الحين والحين . وتلك المناديل البيضاء التي كانوا يرفعونها الي عيونهم ليجلوا عنها تلك السحب التي كانت تتجمع فيها عاطفة وتأثراً وشعوراً . . .

ولا احيي مؤلفها انا لحسبه من التحية وجوم الشعب وذهوله اذ نزلت ستار النهاية في الليلة الاولي . فلم يجد القوم تفوسهم . ولا وجدوا اكفهم برهة من الزمان كأنهم امام حقيقة لاخيال ولا اهتف لهذه الرواية انا وانما تهتف لها الهيئة المصرية . والاسرة المصرية . اذ كشف عما يؤذيها من علل واوجاع .

وان تكن لي بعد ذلك كلمة للاستاذ انطون يزبك فكلمة قصيرة جدا :

لتهنأ الرواية المصرية لمؤلفها الاول ولتنعم (عاصفة في بيت) بأختها (الذبائح)

وقال الناقد الفاضل محمود افندي كامل مؤلف رواية (الوحوش) في جريده «السياسة» الغراء

« الذبائح » . . . ! قصة مصرية كتبها الاستاذ انطون يزبك وأخرجها مسرح رمسيس في مساء الاثنين الماضى . ولست أشك في ان الجموع التي تدفقت لرؤية (الذبائح) انما كانت تدفعها ثقتها السابقة بمؤلف (عاصفة في بيت) . . . اذن فقد اصبحت هذه الاسماء الثلاث انطون يزبك . . . ! عاصفة في بيت ... ! الذبائح ... ! أصبحت هذه الاسماء الثلاثة معهودة من جمهور النظاره. يرددها الوسط المسرحي . وهى نتيجة سعيدة . ثمرة موفقة لذلك الجهاد الطويل في سبيل الفن المصرى البحت اذ قد مضى على مسرحنا درج طويل وهو خاضع لربق الترجمة يتجاذبه فريق كبير من المترجين لايعرف لهم الجمهور فضلا فلا تجذبه اسماؤهم مهما ضخمت اما اليوم فقد اصبحنا وفي مصر مؤلف يجذب اسمه

الى حد ما — جمهور النظارة وأصبحنا واذا في مصر فن خاص يصبو الناس اليه ويتقون به .

***

عند ماخطرت لنفر من كتابنا فكرة التأليف المسرحي منذ أعوام عمدوا الى بحث بعض امراضنا الاجتماعية وحاولوا علاجها بوضع (كوميديات) قصرت عن تحقيق ذلك الغرض . ومع أن جهادهم كان جليلا جديراً بالتشجيع . الا ان القصة المصرية ذات الفكرة لم تجد من العامة ماتستحقه . اذ أن ذلك النوع الهادىء — كما قلت أكثر من مرة — ليس محبوبا لا في مصر فقط بل في كل بلد تتفاوت مدارك الناس فيه . و (الميلودرام) العنيفة هي القصة المثلى في نظر العامية

فطن انطون يزبك الى هذه الحقيقة . وعرف ان التأليف المسرحي في مصر لا يمكن ان يصادف نجاحاً الا اذا تقبله الشعب . فوضع قصته (عاصفة في بيت) ومزج فيها كل ماعرفه الفن المسرحي ثم اخرجتها فرقة جورج ابيض على مسرح الاوبرا الملكية في العام الماضي فتحقق غرض مؤلفها وصادفت نجاحا لا أغالي اذا قلت انه كان باهرا

ولكن (عاصفة في بيت) كانت خالية من أي فكرة أو مبدأ تدافع عنه . أو تدعو اليه . فتطرق الى ضمير مؤلفنا شيء من التأنيب والتبكيت . ونظرة واحدة ياصديقي الى تدهورنا الاجتماعي تكفي لتحريك اشد الضمائر جبروتا وقسوة . . . . ؟! ففكر في ان يسمو قليلا ليقترب من الغرض الذي وجد المسرح من اجله . واعتزم أن يتخذ الزواج بالاجنبيات — الى حدما — موضوعا لقصته الثانية فكانت (الذبائح) هي تلك القصة .

ولقد قلت « الى حد ما » لان الاستاذ يزبك لم ينس مبدأه الاول . لم ينس ذلك العنف الذي يجب توفره في القصة المسرحيه . حتى تفوز برضاء العامة . ولذا جعل الزواج بالاجنبيات أمراً (عارضاً) في القصة فلم يقصر عليه الفصول الاربعه . أو قل انه وضع الفكرة في شيء يشبه (البرشامة) ! حتى يمكن للجمهور أن يتقبله في غير مشقة . وبذا خرجت (الذبائح) قصة (ميلودرام) تبحث في الزواج بالاجنبيات . . . شيء ربما بدا غريبا مدهشاً بالنسبة لاصول الكتابة المسرحية في فرنسا وغيرها . ولكن مؤلفنا يحتج بأن الشعب في مصر يريد ذلك . . .

فانطون يزبك كما ترى كاتب عنيف يذهب في عنفه المسرحي الى الدرجة القصوى وتستطيع — اذا كنت قد شاهدت قصته (عاصفة في بيت) و(الذبائح) — ان ترى كيف انه يمهد في الفصل الاول لزلزال لا يلبث أن ينفجر في الفصول الثلاثة الباقية بركانا هائلا مخيفا يقذف من فيه حمما ونارا ثم تنزل الستار على اشلاء الضحايا والقتلى متناثرة مبعثرة . . . . ؟ ! !

وانطون يزبك يكتب قصته بلغة عامية عليها مسحة خاصة تميزها وهو — كما يظهر لي — يعاني مشقة كبيرة في ان يجعل من تلك العامية الدارجة قوة تعينه على النظارة في نجاح المشهد . ولذا فهو يفعمها بالتشبيهات والاستعارات وهو يغالي في ذلك كثيراً فيترك نفسه للتشبيه يتسلسل به عدة درجات

أشخاص الرواية

حضرات الممثلين

همام باشا مجاهد لواء		٥٠ سنة	الاستاذ يوسف بك وهبي
محمد بك امين مجاهد	أخ همام باشا الاكبر	٥٢ سنة	حسين افندى رياض
عثمان	ابن همام باشا	١٨ سنة	فتوح افندى نشاطي
مرزوق	خادم همام باشا		
الدكتور عبد الوهاب محمود			
نوريسكا	زوجة همام باشا	٤٠ سنه	السيده زينب صدقى
ليلى	بنت اخت همام باشا	١٥ سنه	الآنسه امينه رزق
حفيظه	مرضه	٤٠ سنه	السيده مارى منصور
سيده	خادمة		

سيدات زائرات . وخادمات أخر

وقائع الفصل الاول فى شبرا ومجرى حوادث الفصول الثانى والثالث والرابع

في الحلميه بمصر سنة ١٩٢٥

الفصل الاول

غرفة الكتب فى بيت همام باشا . نظامها أفرنجى بحت . رياش فاخر. مكتب جميل . كتب مرصوصة فى خزائنها كراسى من الجلد لخمه . أسلحة قديمة وجديدة معلقة هنا وهناك .
الغرفة باب فى وسطها يؤدى للجنينه . والى يمين الداخل منه باب غرفة نوم همام باشا .
ولها باب آخر ونافذة الى اليسار .
يرفع الستار عن حفيظه ومرزوق
حفيظه في ثياب ممرضة نظيفة ومتأنقة . شعرها مضفور جدائل على كتفيها . ومغطى بطرحة على صدرها فوطة بيضاء بزركشة . هي واقفة أمام غرفة النوم تعالج بعض آنية التمريض « كؤوس وفناجين » موضوعة على طاولة صغيرة
مرزوق يعمل فى تنظيف بعض الأسلحة ثم يرجعها الى مكانها
آلة تلفون فوق المكتب
صور معلقة . تماثيل صغيرة وكبيرة فوق أعمدة من رخام . قعص مهملات بجانب المكتب

المنظر الأول

حفيظه . مرزوق .

حفيظه — سيب السلاح ده من ايدك بقى . استعجل ! اخلص امال ! (مشيره الى كرسى) رجع دى مطرحها . وانقل السبت ده لليمين. أنا مش قايله لك من الصبح الباشا عايز السبت على اليمين

مرزوق — طب دانا من مدة وأنا بحط السبت ده على الشمال ولا قاش حاجه . وانتى يادوب من امبارح فى البيت دا . ايه عرفك باللى عايزه الباشا ؟ عجايب !

حفيظه — على كيفك . بس اخلص . حاكم الباشا ملوش صبر . واخلاقه ضيقة

مرزوق — أما اخلاقه ضيقه . ضيقه صحيح . بدا كان زمان هادى. ورايق . وفى أمان الله لكن دلوقتي . توتوتو .

حفيظه — بقى يعنى اتغير الايام دى ؟

مرزوق — امال ما اتغيرش . دا ما حدش قادر يقول بم فى البيت دا . فين همام باشا بتاع زمان ؟ . راح وجه واحد غيره . تلاقيه على طول وشه يزرد . وعينيه تقزز وتصغر وينفجر زى البمبه . وخدى عندك بقى على شتيمه . وعلى كلام ينزل اللقمه من البق .

حفيظه — طيب اسكت اسكت بلاش تهويل . دا باشا ومتمدن . وباين عليه طيب . وساكت وفى حاله . قال بيشتم قال ! .

مرزوق — ليه ؟ هم البشوات ما بيشتموش ؟ « يضحك ساخراً » والله ما حد بيشتم قدهم اسأليني أنا يا ست حفيظه . ما هم كل العصبيين كده . طيبين طيبين . وحشين وحشين . تلاقى الواحد منهم رايق ولسانه حلو وكل الناس تحبه . لكن دوسى له على طرف كده . تلاقيه فى دقيقه واحده يخرب اللى بناه فى سنه . ويرجع اللى هدمه فى دقيقة . يقعد سنه على بال ما يبنيه من تانى وجديد . والباشا بتاعنا كده . آدينى حرصتك . .

حفيظه — عجايب ! قد كدا . واللى خلاه كدا ايه يا ترى ؟

مرزوق — النكد يا ست حفيظه ! النكد اللى غير اخلاقه . وهد حيله . وساط عليه العيا.

حفيظه — طيب والنكد دا ليه . دول باينه عليهم النعمه . واللي يشوف البيت دا والعز اللى همن فيه . يقول دول فى نعيم .

مرزوق — هى الفلوس نعمه ؟ « يضحك ساخراً » آه ! آه ! لا ياستى الفلوس ما هياش نعمه . طيب دى لو كانت الفلوس نعمه . كان ربنا بعتها لاولاد الحلال بس . لكن ادينا شايفين . الضلاليه وخرابين البيوت برضك عندهم فلوس . ويمكن يكون عندهم أكثر من غيرهم . لا يا ستى. الفلوس ما هياش نعمه . دى يمكن تكون نقمه . تعرفى النعمه بحق وحقيق هى ايه ؟ راحة البال وهدو السر . ياما حاتشوفى فى

البيت دا اللى باين عليه العز . . . قل من امتن في القصر قل من امبارح العصر
ياما حتتفرجي لما يقفوا همن الاتنين قصاد بعض . هيَّ . وهوَّ . ذى التعابين الحرانه

حفيظه — هيَّ . . هيَّ مين ؟ اياك الست نورسكا ؟

مرزوق — شوفوا يا خواتى . دى لقطت اسمها قوام ! طيب دانا من كام سنه فى البيت دا . ولا عرفتش انطق اسمها دا ابداً . يا ختى انتوا الستات بتلقطوا اسامي بعض على طول .. اسمها ايه بالله عليكي ؟ ايه ؟

حفيظه — ناوريسكا . « تنطق هذا الاسم مقطعاً حرفاً حرفاً »

مرزوق — ناروسكا ! نار . وسكا . هيه ! اجرنها لاخرى شعرها احمر ذى الجمر . وعينيها زرق زى لهاليب السبيرتو اللهم احفظنا . دا نتى ياست حفيظه شاطره صحيح . و بتنطق اسمها دا زى اللى تكونى معتاده عليه . —

حفيظه — (تضحك فرحة) اه . اه . اه . طيب اسكت . اسكت . روح افتح الشباك دا خلى الاوضه تتهوى

(مرزوق يفتح الشباك)

انده بقى لسيدك الباشا . قول له اتفضل . احسن ما يقلق . وعلى بال ما يجى . اكون انا انتهيت من دول

(مرزوق يتجه للباب الثاني)

لأ ! سيدك الباشا نزل الجنينه « تشير الي باب الوسط » روح من الباب دا

مرزوق — نزل الجنينه ؟ دا كان فى الصالون دلوقتى بس . وكان فاتح الخزنة الحديد . و بيفتش فيها . . ايه عرفك انتى انه راح الجنينة . هو انتى مراقباه .

حفيظه — ايوه مراقباه . مش عيان . روح انده بلاش غلبه . روح .

(يخرج مرزوق)

المنظر الثانى

حفيظه ــ وحدها . تسرع في تنظيف الآنية ثم تحمل الطاولة الصغيره وتدخلها غرفة النوم وهي تقول :

النكد هد حيله ! هد حيله النكد . . طبعاً . . دا النكد يهد جبال . مش حايهد بنى آدم .

المنظر الثالث

همام باشا ــ حفيظه ــ مرزوق

همام با | كهل . وقور . مليح الوجه . باد عليه أثر المرض . ثيابه فى غاية التأنق وعليها معطف من الجوخ مزين بالفرو ــ ساعده الايسر مربوط . ولكن اللفافة مفككة . يدخل على مهل وهو يحاول احكام اللفافة بيد واحدة فلا يستطيع . يدخل مرزوق

حفيظه ــ تقف باحترام بجانب باب غرفة النوم

همام ــ « ودياً » . مرزوق ! .

مرزوق ــ « مهرولا » . أفندم ! نعم !

همام ــ صلح الرباط ده .

مرزوق ــ حاضر يا سيدى .

همام باشا يجلس على كرسى واسع و يمد يده الى مرزوق وهذا يعمل فى اصلاح اللفافة .

همام ــ الولد موزع الجرانيل ما مرش .

مرزوق ــ لا يا سعادة الباشا ما مرش ؟

حفيظه ــ « مصححة » مر يا سعادة الباشا . ورمى الجرانيل فى الصندوق . وخرج . انا شايفاه من ورا القزاز .

همام ــ « لحفيظه » ولا حدش سأل عنى بالتلفون .

حفيظه ــ « تقترب » محمد بك أمين سأل من شبرا . قلت له الباشا بخير واحسن كتير . قال انا جاى .

همام — « لنفسه فى تضجر » على ايه ؟ حايجى ليه ؟ — « ثم يقول لمرزوق متألماً ». حاسب !
على مهلك ! . — الله ! « فى هذه اللحظة يسمع قرع الجرس من الخارج »

حفيظه — « لمرزوق » روح انت شوف اللى بيضرب الجرس دا مين . وسيب الرباط دا .

مرزوق — « ينظر الى حفيظه متأففاً ثم يقول » . حاضر « ثم يخرج »

حفيظه تأخذ موضع مرزوق . وتربط اللفافه بخفة ولباقه

المنظر الرابع

همام — حفيظه

همام — الست ما نزلتش من فوق ؟

حفيظه — ما شفتهاش يا سعادة الباشا .

همام — وعثمان رجع من المدرسة ؟

حفيظه — نعم . رجع يا باشا وقال لما تخلصوا من ترتيب المكتب ابقوا ابعتوا لى اجي اشوف بابا .

« صوت من الداخل »

محمد بك امين — ازاى الباشا النهارده يا مرزوق ؟ مش احسن ؟ الحمد لله . الحمد لله .

« حفيظه تنتهى من ربط اللفافة . وعند دخول محمد بك امين . تدخل هي الى غرفة النوم . وتترك بابها مفتوحاً وتجلس على كرسى فيها فيكون نصفها ظاهراً للجمهور . وتصغى لكلامهما باهتمام صامت .

المنظر الخامس

همام باشا — محمد بك امين — حفيظه

محمد — اجر وعافية ! الحمد لله على سلامتك ياهمام ! قال خرجت شويه للجنينه .

همام عاتباً — عاش من شافك من يومين يا محمد . ايوه قول اروح أطل على اخوى المرمي ده .

محمد — مرمي ! لا سلامتك من الرميه . ما تقولش كدا أبداً . داحنا كلنا فداك . بس أنا

انشغلت اليومين دول فى حسابات الدائرة . حاكم السنة قربت تنتهى . وكان الحكيم مطمنى عليك من أول امبارح . قال الباشا طاب الحمد لله . ما تزعلش ياخوى والنبى . يعنى ماانا كل يوم عندك . اجر وعافيه ياهمام . اجر وعافيه . الحمد لله على سلامتك . مادمت طيب بخير . ما تقوم بنا نروح عند حبيبنا الانصارى بك . نحضر كتب كتاب بنته . احسن من قعادك فى البيت

همام — مين اللي قادر يخرج يا محمد . الروماتيزمو مكسحنى . وخايف من البرد . لكن اهم كلهم رايحين . عثمان . وليلى . ونورسكا . ابقوا اعتذروا عنى . بقى لو كان ابنك حسن مستهدي . مش كان هو أولى فى بنت الانصاري اللى اسمه حبيبنا . وعارفينه . وعارفينها . ومتربيه على ايدينا .

محمد — والله يا همام أنا مش مستجرى افتح لك السيره دي . قلت بلاش تغمه . لما يطيب فيها فرج . ده حسن من يوم ما رجع لى من اوروبا . وهو يقول انا ما اتجوزش الا افرنجيه . ولايف لى على بنت أوروباوية فى الحته . وقال عايز يتجوزها .

همام — « كأن عقربا ضربته فيقف مذعوراً » ايه ؟ بتقول ايه ؟ افرنجيه ؟ افرنجية ايه ؟ احنا لسه ما خلصناش من الافرنجيات ومن مصايبهم . همن الافرنجيات مش راجعين عن البيت ده . الا لما يجيبوا خبره . ويخلوا عاليه سافله . وساكت حضرتك على كدا . ومخبي عليّ كمان . وسايب الجدع على شعر راسه . لاجل ما الفكره دي تختمر فى دماغه . وينفذها يوم من الايام .

محمد — والله أنا مش ساكت ياهمام . و بنصحه كل يوم . لكن مش قادر عليه . وآخر ما غلبت . قلت اروح لهمام احكى له .

همام — «ساخراً فى غضب شديد » بتنصحه ؟ انا عارف نصيحتك دى « مقلداً صوت محمد » يا ولد احنا ما لناوما اللي مش من جنسنا . ماهم بناتنا كتار » بس ادي اللى

تقوله . وتسيب الجدع يغرق كل يوم شويه . لغاية اما ييجي يوم يغرق لشوشته ولا حدش يعرف ينجيه .

محمد — بس انا حاقدر اعمل ايه غير كدا . دا بقي راجل . وواخد الشهادة . قل ان كبرا بنك خاويه .

همام — راجل؟ ابن ٢٢سنة راجل ؟ مين قل ؟ وان كان راجل ؟ تقوم تسيبه يا كل حلاوه مسمومه . وانت عارف انها مسمومه . ولا تخطفهاش من بقه وترميها بعيد . طيب دا انا اهون عليّ اشوف حسن فى اللومان . سامع ؟ فى اللومان . والا اشوفه مكسح بيجرجر ايديه ورجليه على الاسفلت . ولا اشوفوش متجوز واحدة افرنجيه

محمد — لكن يا همام .

همام — « يقطع كلامه » ياشيخ اسكت لى كده . انصح إبنك . وبعدين ازجره . واتوعده . وان ما سمعش منك . عضه باسنانك ذي ما القطط بتعض اولادها وشيله واهرب بيه لبلد غير البلد دي . ولا تلتفتش وراك .

محمد — والله لو كانت علي أنا وحدي كانت هانت . لكن اللى اعمله انا تجى امه تلخفنه « مقلداً » ما تهورش الجدع. الجدع يعيا. الجدع يقتل نفسه . هواحنا عندنا كم ولد.»

همام — « يضحك هازئاً » . اه . اه.اه . الجدع يقتل نفسه ! اه . اه . اه . قال يقتل نفسه قال . ياخي ما تخافش . ما هواش حا يقتل نفسه . احنا فى شهر دسمبر . اه . اه .

محمد — « باستغراب » شهر دسمبر !

همام — إيوه فى شهر دسمبر . وجد عاننا ما بيقتلوش نفسهم فى شهر دسمبر أبداً — دول ما بينتحروش الا فى يونيه والا فى يوليه . لما يسقطوا في الامتحان . اه . اه . اه . اه المجانين ! المغفلين ! قل يبقى الواحد منهم زى فلقة الصبح . ابن ١٧ سنة . يعنى ملك الكون دا كله . قل ويروح ينتحرلى قل كنه سقط فى الامتحان

ابنك عدا الامتحان والا لأ ؟ مش اقبل وخد الشهادة ؟ بس ما تخافش عليه يق . وحط فى قلبك بطيخه صيفي. ماهواش حا ينتحر ابداً. لا من حب ولا من غرام . ولا من مصيبة . ولا من ذل . ولا من عار . ولا من حاجة أبداً. قول لامه تريح بالها . وتقعد ساكته . ما حدش حا ينتحر .

محمد اعوزه بالله ؟ دانت ما بترحش . طيب ويمكن الجدعان دول بينتحروا من هموم تانيه طهقت روحهم . ويكون سقوطهم فى الامتحان حجة بس . دانت عسكرى صحيح . قلبك قاسى .

همام — «غاضباً» امال انا ناظر وقف زيك ؟ لأ. الجدع ما وراهش هموم . هموم ايه دى بتاعة الجدعان . طيب دانا عندى ابنك ينتحر . انت سامع ؟ يضرب نفسه رصاصه . انت سامع ؟ ينتحر مرة واحدة . فى ضربة واحدة . ولا ينتحرش فى كل يوم . وكل ساعه وكل دقيقة ميت مرة . «فى حزن شديد» ياريتنى انتحرت انا يا سيدى . كنت ارتحت .

محمد — هه ؟ احنا رجعنا بقى . يا ريتنى ما فتحت السيره دى . انت عيان يا خوى .

همام — (يروح ويجيء) يا ريتنى انتحرت انا يا محمد ولا شفت يوم من الايام اللى مرت على دى . ما تقول لابنك شوف عمك همام باشا . اللوا همام باشا . مكسر . ومضحضح . ومكسح . ذى العسكرى الخارج من موقعه حربته . « يرفع صوته » وكل دا ليه ؟ . اصله ايه ؟ . ما قتلتش ! . ما زنتش ! . ما سرقتش ! ما خربتش بيت حد . « يرفع صوته أيضاً » ما ظلمتش حد ! اتجوزت واحده افرنجيه بس .

« فى هذه اللحظة تخرج حفيظه من غرفة النوم وتتجه نحو الباب الاخر وتتناول صينية من خادم تمرت على ذلك ذلك الباب . فوق الصنية فنجانان قهوة . وكاسان ماء

محمد — « مشيراً الى المرضة » هس ! هس !

المنظر السادس

همام باشا . محمد . حفيظه

(حفيظه تقدم القهوة لمحمد بك ولا تقدم شيئاً لهمام باشا .)

همام باشا — يمد يده ليأخذ فنجان . ولكن حفيظه تتأخر خطوة وتقول

حفيظه — العفو يا باشا . لكن الحكيم حرج عليّ . قل الباشا ما يشربش قهوة ابداً .

همام — الحكيم ! حرج عليكي . حتى فنجال القهوة محرم على . « يهز رأسه بحزن »
كتر خيرها . ولسه .
« يتنفس طويلا . ثم يقول . »
طيب سيبي الصنيه دى هنا

حفيظه تترك الصينيه فوق احدى الطاولات . ثم ترجع لمكانها الاول

المنظر السابع

همام باشا . محمد .

همام — « مائداً لحديثه » عشرين سنه وانا فى الحاله دى . لا يوم ولا اتنين . يا ما ضربت راسى فى الحيط . يا ما مزقت هدومى وخرجت منها . يا ماتمرغت فى الارض واتلويت زى التعبان المضروب على دماغه .

محمد — بس بقى ما تزيدهاش امال ! . وهيّ عاملالك ايه ؟ ما هى قاعده فى بيتها . ولا حدش سامع لها صوت . امال لوكانت زى الفرنجيات التانيين كنت عملت ايه ؟ .

همام — مين همن الفرنجيات التانيين . وهمن الافرنج بيجوزونا مين بناتهم . ماهم اكترهم يا تكون مومس . يا تكون كاريره . يا تكون بياعه فى مخزن . لا ياسيدى انا مصيبتى اكبر . انا متجوز واحده طيبه . من عيله طيبه .

محمد — والله ياهمام انت امورك عجب

همام — « يقطع عليه كلامه » وانا قلت لك انها بتزنى ! . إنها خياصه ! يا خى لا . الزنى دا دواه قريب . كلمه واحده ولارصاصه واحده تداويه . لـكن لو جبتها المره الطيبه دى هي وجدودها . وجبتنا احنا وجدودنا . وجردت لحنا ولحمهم . وعجنت اللحم دا فى بعضه . ودقيته . دقيته . دقيته لغايه اما تنعمه وتخليه زى المرهم . وحطيته فى حله واحده . وعملت منه مرقه . تطلع مرقتهم لوحديها . ومرقتنا لوحديها .

محمد — يا حفيظ .

همام — تمام زى ما بقولك كدا . داحنا أولاد الصحره الحرقـه . وهمن اولاد المغاور المنقوره فى الجبال المثلجه . دا اللى بيجرى فى عروقنا نار سايله . ما هواش دم بنهب هبة واحدة يا قاتل يا مقتول . وهمن الواحـد منهم يعض باسنانه على زور الواحد منا . ويموت عليه . ولا يشلش انيابه الا اما يخطف روحه فى بقه . داحنا من عشرة آلاف سنه متخاصمين ويام . وهمن متخاصمين ويانا . سنه نكتسح بلادهم . وسنه يكتسحوا بلادنا .
دول بيكتبوا من الشمال لليمين . واحنا بنكتب من اليمين للشمال . دول لما بيخشوا كنايسهم بيقلعوا برانيطهم . واحنا بنقلع جزمنا لما بنخش جوامعنا . دا شى فى الدم . فى الدم يا محمد .

محمد — طيب انت ما كنتش عارف دى يا همـام . دا شىء عمومى . وهيّ زنبها ايه فى دا كلـه .

همام — هيّ ! . . هيّ ! . . دى المره منهم بتعتبر نفسها جزء من الهيئة الاجتماعية . قبل ما تعتبر نفسها جزء من العيلة . واحنا عايزين نسوانا يعتبروا نفسهم جزء من العيلة . قبل ما يقولوا احنا جزء من الهيئة الاجتماعيه . دى الواحده منهم عاوزه حقها قبل كل شىء . وان سألتهـا ايه هو حقك دا . تقوم تجيب لك الـكلام اللي تعلمته فى كتبهم . وتقول لك اهو حقى . الارض وما عليهـا . وما فوقها . وما

تحتها . والنجوم والكواكب . واللبس . والعنندره . والحرية . والرقص . كل شيء
وانا . وانا ياستي . حتى ايه . ولا حاجه . ابداً . غاية ما هنالك تسمحلك الست
نورسكا انك تبص لديل فستانها الجرجر .
يوم ما دخلت بيتي الست نورسكا قالت انا ملكاك . كلي لك . لكن بعد
سنه رجعت لطبيعتها القديمه . نكشتت وقالت لا انا حره . جسمي وعقلي دول
ملكي . وعوايدى واخلاقي . دول انا ما اغيرهمش . انا حره ! واما تقول لها لأ
ياستي انتي ما انتيش حره . تقوم تبص لك كده بصه مقلوبه . ذى اما تبص
لحيوان وسخ . وتقولك انتوا ! انتوا كلكم كده .
« يرفع صوته » . انتوا . انتوا . قتلني ضمير الجمع المخاطب . عدمني العافيه ضمير
الجمع المخاطب . بتحملني الست نورسكا ذنوب الشرقيين كلهم .
محمد — لكن يا همام اللي تجوزوا افرنجيات كتار . وكلهم بيقولوا انهم مرتاحين . . اشمعنا
انت بس ؟ .
همام — كدابين . ما حدش مرتاح منهم . دول بس بيختشوا من الناس . « يرجع الى حديثه »
آدى الحرب اللي قامت بيني و بين الست نورسكا من عشرين سنه ولساها
انتهتش للنهارده . لكن آهي حاتنتهي ! . واحد منا لازم يقع من طوله . و يتف
ريته من بقه و يموت . واحد منا لازم يقع . شوف « يريه يده المربوطه »
شوف ! « يحمل رجله بيده » دانا اتكسرت . واتضحضت . لكن مش انا اللي
حاقع في الاول . أبداً

صوت نورسكا من الداخل

فيدو ! فيدو ! فيدو !

همام — « ساخطاً » سامع ! سامع ! بتنادى كلبها . بتسأل على كلبها . خايفه على كلبها
وانا عيان ولا سألتش علي . وقالت ازيه .

« يروح ويجى كأنه مجنون . مشيراً بعنف بيديه وينادى نداء قويا » مسين اللـي يشترنـــيـ همام باشا . اللوا همام باشا . وياخد ماله وعزه . وجاهه . بيوم واحد راحه !

ثم يقع على المقعد وهو يلهث تعباً

محمد ـــ « مضطرباً » . كباية ميه ! الحقونى بكباية ميه ! يا شيخ له كده . عليك من ده ايه بس ؟ مرزوق ! . كباية ميـه . الشباك . افتحـوا الشبـاك .

(وينهب الي الشباك ويفتحة)

حفيظه تخرج مضطربه . وتأخذ كاس ماء من صنية القهوة

المنظر الثامن

همام باشا . محمد . حفيظه

حفيظه ـــ « بلهفة » اتفضل ! اتفضل ! الميه أهي .

همام باشا يشرب على مهل . مرزوق يدخل وفى يده كاس ماء . ولكنه يخرج اسفا بعد أن ينظر الى همام باشا طويلا

« حفيظه تعود الى مكانها »

همام ـــ قول لابنك . روح لعمك همام . واسأله

محمد ـــ ما يتفلق ابنى . احنافيك والا فى ابنى . ان ماعجبتوش يلسيدى يبقى يسيبها .

همام ـــ يسيبها ! دى.تبقلظ عنيه الاتنين . وتحطهم على كفها . وتلعب بيهم الطلع . قال يسيبها قال !

وانا ما سيبتش دى ليه ؟ لكن حاعمل ايه في ابنها عثمان ؟ حاعمل ايه فى ليلى بنت اختك . اللي فاتتها لى يتيمه من الاب والام . حاوديهم فين الاتنين دول . وحاعمل ايه في عيشة القرف . دى اللي اعتدت عليها . الواحد منا لما يعتاد على النكد ما يعدش يعمل حاجه علي شان يخلص منه . وانا اعتدت عليه . « سكوت عميق »

ما كانتش عاجباني مراتى الاولانيه ؟ امينه بنت مصطفى الصياد . اللي من المنصوره ؟

محمد — دى ما كانتش سيره وانفتحت . حقه انتو العصبيين ! . . . .

همام — «يتم كلامه» ما كانتش عجبانى امينه بنت مصطفى الصياد اللي من المنصوره .

حبيت عليها الست نور سكا . وطلقتها علي شان خاطرها ؟ .

كنت اقول عليها دى غشيمه . وجاهله . ومدهوله .

أهو ربنا انعم علي بالرشقه . المتعلمه . الشاطره

محمد — اللي فات مات يا همام . احنا حا نقعد نندب على اللي فات من عشرين سنه .

همام — آه . على أيامها ياما كانت حلوه . انت لسالك فاكر يا محمد . لسالك فاكر أيام الفيوم لما كنت تاخد مراتك سنيه . وانا اخد مراتى امينه . ونجرى زى العشاق . من جنينه لجنينه . يوم في اللاهون جنب القنطره الرومانيه . . ويوم في الوادى . ويوم جنينة الصفصاف . . . يا ترى تعود الايام ؟ لكن حا تعود منين ؟ احنا الرجاله لما يبقى عمرنا خمسين سنة . ساعتها بس نفهم اللي كان واجب نعمله ايه . واحنا أولاد عشرين .

ما كانتش عجبانى ؟ . قلت لك انا حا تجوز دى . خد ادى امينه ورقتها . آه . آه . آه «يضحك متألما»

محمد — يا ترى لو شفتها دلوقتى تعرفها يا همام ؟

همام — امال ما أعرفهاش ؟ دى اول بختى في الدنيا ! ما اعرفهاش ازاى ؟ دانت لوحطتها لي وسط عشرين ست . وخليتها تغطى وشها وايديها وجسمها . كنت دغرى اقولك امينه اهيه ! .

هو حد ينسى اول بخته في الدنيا دى أبداً يا محمد .

فى هذه اللحظة تدخل حفيظه وتتجه نحو الشباك وتتلفه .

المنظر التاسع

همام باشا . محمد . حفيظه

همام — انتى بتقفلى الشباك ده ليه ؟

حفيظه — الدنيا طارت . والحكيم قل لازم تقفلى الشبابيك بدرى . ما تخلوش الا الشباك الغربى هو المفتوح

همام — كتر خيرها . ولسا ! « حفيظه تعود الى مكانها »

المنظر العاشر

« يدخل عثمان وليلى فى ثياب انيقه »

همام . محمد . عثمان . ليالى .

عثمان — سلامتك يا با . سلامتك . ما لك

ليلى — سلامتك يا خالى . بعيد الشر . مرزوق خضنا

همام — بسيطه يا بنتى . دوخه صغيره . وزالت الحمد لله

ليلى — الحمد لله . يا خالى . اهلا خالى محمد

« ليلى وعثمان يقتربان من محمد ويقبلان يده بكل محبة »

محمد — اهلا بالحلوه . اهلا بابو عفان

ليلى — انت فين من زمان ما بنشوفش يا خالى .

محمد — انا جاى النهارده مخصوص علي شانك

ليلى — ايوه اضحك عليّ انت . والنبي ما اصدقك أبداً .

محمد — وجايب لك الخاتم اللي قلتى لى عليه . اهو . صدقتى دلوقتى . « يخرج علبه من جيبه »

ليلى — « تفتح العلبه » الله ! كتر خيرك يا خالى ! ايوه صدقت . شوف يا عثمان

عثمان — اما اشوف اوريني كدا

(يخطف العلبه ويضعها فى جيبه)

ليلى — « تتصنع المكآبه » شوف ياخالى عثمان خطف العلبه

همام — « وهو يفتح الادراج على مهل » . ما تكايدهاش يابو عفان . رجّع لها العلبه يابنى .

عثمان — يا باى . وانا كنت حا كلها . فتّانه . خدى اهيه

ليلى — آه . آه . آه . « تضحك »

عثمان لمحمد — زى ما جبتلها خاتم . تجيب لى حاجه انا لاخر زيها . بس

ليلى — يا ما الغيره مره . آه . آه . آه .

عثمان — تجيب لى قلم للفوتوغرافيه بتاعتى . واجزا كان الفوتوغرافيه

همام — « وهو يفتح الادراج » انت حا تشغل نفسك بالفوتوغرافيه ياعثمان . ومدرستك .

« لمحمد » يا ما بدّلع فى الاولاد دول يامحمد .

محمد — يا خى ربنا يخليهم ويخليك . ويدلعوا يا باشا . حاضر حاجيب لك الاجزا والقلم للفوتوغرافيه بتاعتك . حاضر .

المنظر الحادى عشر

تدخل نورسكا

همام . محمد . ليلى . عثمان . نورسكا

نورسكا — انتوا لسا ما لبستوش ؟ . يالله ا ل . يلله ياليلى . روحى اتبرقعى وتعالى .

« تنظر لمحمد بك » اهلا محمد بك ! ازى سنيه . ؟

محمد — بخير يانورسكا سبقتكم قدامي لبيت الانصارى بك ..

نورسكا — يالله امل بالبلى ! . والنبى برقعك الاسود . « تضحك ساخرة » خالك الباشا عاوز كدا . آه . آه . آه .

همام — وماله برقعها الاسود ؟ البنت لما تمرك برقعها بصوابعها وترميه على طول ايدها . بترمي نص جمالها معاه . ولما تتشطر وعايزه تحمل حل الرجاله بتضيع نص جمالها الثاني .

نورسكا — وماله ! . لكنها تبقى حرّه . والحرية أحسن من الجمال .

همام — ايه ؟ ؟ الحريه أحسن من الجمال .

نورسكا — طبعاً ! حريتها لها . لكن جمالها . لكم انتوا بس يارجاله .

اطلعي ياليلى . « ليلى تخرج » .

همام — «فى غضب» نورسكا ! . أنا ميت مرّه . قلت لك الكلام ده مش عايزه قدام البنت . وديني . إن قلتيه تانى مره قدامها . لاطلع البنت دى من البيت دا . واوديها عند خالتها عيشه فى طنطا .

نورسكا — « ساخرة » . آه . آه . آه . وفى طنطا ماحدش حايقول لها الكلام دا . .

محمد — (يعصر الفم ويدفع نورسكا بأدب) يا لله يانورسكا . يالله احنا اتأخرنا . اسبقينا. اسبقينا .

(تخرج نورسكا)

المنظر الثاني عشر

همام — محمد

همام — (فى غضب شديد) . آه ! ولسا . ياما حانشوف .

محمد — ماعليهش ياخوىَ . طوّل بالك حاتعمل ايه . ماتنش فاضى للدوشه ووجع الدماغ

همام — (مؤكدا) صحيح مش فاضى . عافيتي اندهبت .

محمد — قوم ارتاح . أنا مروح . وسيب الادراج دى اللي بتفتش فيها من الصبح . .

(سكوت)

(همام يبحث فى الادراج)

همام — الا قل لى والنبي يا محمد . أو راق الانصارى بك . بتوع المجلس العسكرى . مش لاقيهم .

محمد — (مذعوراً) . بتقـول ايه ؟ . مش لاقيهـم ؟ . مش لاقيهم ازاى ؟ حايروحوا فين ياهمام .

همام — مش عارف . دخت وأنا اقتش عليهـم . مش لاقيهم . دورت عليهم فى الخزنه الحديد . هنا . وهنا . مش لاقيهم .

محمد — اوعى ياهمام ! . حاسب والنبى . دا الورق ده وراه خراب بيوت كتيرة . انت ما من خدامينك ؟

همام — قوى ! كلهم ولاد حلال . من عشر سنين عندى . .

محمد — والممرضه دى . الجديدة . عارفها ؟

همام — دى لأ . دى باعتاها لى اختك عيشه من طنطا امبارح بس . وموصيانى عليها قوى.

محمد — وبعدين بقى ؟

همام — روح أنت الفرح . وسيبنى . أنا حافتش لغاية مااعتر عليهم .

محمد — « يقول وهو خارج » والله دى شغلانه لاخرى . نهايته . خليتك فى عافية .

همام — الله يعافيك يامحمد . ماتغيبش عليّ ياخوى

محمد — حاضر ! يإسلام .

المنظر الثالث عشر

(تدخل حنيظه وفى يدها زجاجة دواء وملعقة صغيرة .)

حنيظه — اتفضل الدوا ياسعادة الباشا . الحكيم قال كل ساعتين معلقة . اتفضل .

همام — « يا خد الملعقة ثم يقول متبرماً » . أف ! ؟ انتى مش حاترحمينى من الدوا دا . ابداً

حفيظه — أمر الحكيم يا باشا . « تتأكد من أن النافذه مغلقه »

همام — هو الشباك ده عامِلك ايه؟ ماتسيبيه مفتوح شويه (تقول هنا وهو يفتح خزانة الكتب)

حفيظه — امر الحكيم يا باشا .

سكوت . حفيظه تتجه نحو غرفة النوم . وفى يدها الصينية

همام — « يستوقفها » مين اللي قمّص اللواليب النهاردة ؟

حفيظه — مرزوق ياسعادة الباشا

همام — هو انتى بتعرفي اختي عيشه من زمان؟ . دى موصيانى عليكى قوى .

حفيظه — أعرفها من زمان قوى ياباشا .

همام — بقى على كدا انتى من طنطا .

حفيظه — لا يا باشا أنا من المنصورة .

همام فرحاً — من المنصورة ؟ . والنبى . . وبتعرفى مين فى المنصورة .

حفيظه — كلهم . المعارف كتار ياباشا .

همام — ياترى تعرفي بيت الصياد من المنصورة .

حفيظة ترتجف فتقع الانية من يدها . فتنحنى وتسرع فى التقاطها

حفيظه — أعرفهم يا باشا . (تجمع الانية وهى تقول)

قل دلقوا القهوة من مش عارفه ايه . قالوا الخير جاهم .

همام — (باهتمام) . معلهش . معلهش . سيبيهم عنك . مرزوق يلمهم . وتعرفى مين من بيت الصياد فى المنصورة .

حفيظه — « فى حزن ظاهر » اعرفهم كلهم يا باشا . دول اعز الحبايب . واحنا وياهم زى الاخوه . أعرف بيت عبد السلام الصياد . و بيت عبد الصابر الصياد . و بيت مصطفى الصياد الله يرحمه .

همام — الله يرحمه ؟ . ليه ؟ . هو المسكين مات . .

حفيظه — تعيش انت يا باشا .

همام — مسكين ! ياعم مصطفى ! لاحول ولا قوة الا بالله . من امتى مات ؟ . من زمان ؟

حفيظه — من عشر سنين ياسيدي .

همام — « فى حزن عميق » لاحول ولا قوة الا بالله . وأولاده ؟ تعرفى أولاده .

حفيظه — اعرفهم . محمود ابنه لما شاف أبوه خسر ماله ومال اعمامه فى القطن هج وراح السودان . فضل الراجل ينقهر هام خسر فلوسه . وهام ابنه هج . فضل ينقهر لما . أعطاك عمره .

همام — لاحول ولا قوة الا بالله . مسكين ياعم مصطفى . دا كان له بنت اسمها أمينة هليت ماتعرفيها لاخرى .

« حفيظة تجهش بالبكاء »

همام — انتى بتعيطى ليه . « حفيظة تغطي وجهها وتخنقها العبرات » الله ! همن كانوا عزاز عليكى ؟

« حفيظه تأخذ الانية وتسرع بالانصراف »

حفيظه — قوى يا باشا ! قوى ! .

همام — (مؤكداً) همن كانوا ينحبوا صحيح . كانوا ناس طيبين

« حفيظه عند الباب »

همام — (يستوقفها) ماقلتيليش ؟ أمينه بنت عمك مصطفى الصياد . طيبه . والا ايه ؟

حفيظه — « على مهل » طيبه يا باشا . لكن ياريتها كانت ماتت كان احسن لها .

همام — (باهتمام) ليه هيَّ مالها ؟ . جرى لها ايه ؟ .

حفيظه — ما مالهاش يا باشا . لكن . نفع النسوان ايه لما الرجاله تموتهم ويروح كل واحد منهم فى قسمته .

همام — ياريت كل النسوان تقول زيك ياحفيظه . ماقلتيليش ؟ . وأمينه . ما تعرفيش هي فين دلوقتي .

حفيظه — «تنفجر بكاءً وهي تقول» أعرف . أعرف .

همام — « يقترب منها مضطرباً ويرفع الطرحة قليلاً » هيه! . أمينه ! هنا. في البيت دا ؟ . مرضه ؟.

(سكوت طويل)

همام — ادنا قلبي اتعمى من عشرين سنه . وبعد عشرين سنة اتعمت عيني كمان .

حفيظه — معذور . عشرين سنه . دول عمر ياسيدي .

همام — (منفجراً) سيدك ؟. أنا سيدك . من امتى كان القاتل سيد القتيل « ينظر اليها ملياً ويقول بحزن عميق » أمينة زوجة الصاغ همام افندي مجاهد ! صبحت ممرضه . خدامه والصاغ همام افندي مجاهد صبح لوا . وباشا . آه . آه . آه « يضحك في ألم » وانا بقول يا ربي أنا كنت عملت ايه . على شان تحكم علي بالشقا ده كله أنا ما خربتش بيت حد. أنا ماظلمتش حد. قال ماظلمتش حد قال. ودي مين اللي ظلمها .؟ قال ماخربتش بيت حد قال . ودي مين اللي خرب بيتها ؟ . أتاري ربنا مابيحدفش الناس بالطوب ! . أتاريه بيطول الحبل ويمكر . ويبعت مال وأولاد ويمكر . ويبعت عز وجاه ويمكر . ويمكر . ويمكر . ويقوم يبعت الست نورسكا وياهم .

حفيظه — قسمتي يا باشا . اللي كان مكتوب عليّ . جاز عليّ .

همام — جاز عليكي . وانا اللي كان مكتوب عليّ جاز عليّ انا لاخر . ماتخافيش . ربنا انتقم لك مني . يوم يوم . سنه سنه . زي ماقال . انتي قعدتي سنتين معاي . وظلمتك . قام ربنا ظلمني عشرين سنه . هو قال الحسنة بعشرة من امثالها . والسيئة بمثلها . لكنه جاز اني بعشره من امثالها . أنا دبحتك بكلمة من عشرين سنة قام بنابعت لي نورسكا من عشرين سنة . كل ماعايت قدامي أشوف خيالك بيني وبينها . زي قابيل لما قتل أخوه .ولا قدرش يواري جثته . تمام . زيه .

« سكوت »

همام — وانتى عملتى أيه ياسكينه من يومها ؟ .

حفيظه حاعمل ايه ؟ أول سنه استرجيت . وتاني سنه قالوا لى إنك سافرت السودان . يأست وسكت . ولما دار علينا الزمان . عملت ممرضه . حاعمل ايه ؟ . وعرفت اختك عيشه هانم . وهي عرفتني . قالت الباشا مقهور . قلت اشوفه . قالت الباشا عيان . قلت اشوفه . قالت حاتشوفيه فين دا عيان ولا بيخرجش أبداً. قلت اروح . ممرضة . اروح لغاية بيته . لغاية بيتنا القديم . اشوفه . يعني هو حايعرفني دلوقتي بعد عشرين سنه ؟ قامت بعتتني... جيت بيتنا . لقيت كل شيء اتغير فيه .

همام — صحيح . كل شيء اتغير فيه . القلوب اللى كانت فيه صاحيه ومرعرعه . نشفت وماتت. والنفس اللي كانت عزيزه انكسرت . والروح اللي كانت شامخة انزلت . والشعور اللي كانت سودها بيضت . والجسم اللي كان سليم . انحنى وكله المرض . أظن مادعيتى عليّ . أظن ما كشفتى راسك وقلتى يارب .

حفيظه — ادعى عليك ؟ ابدا . ان شاالله ما اعيش

همام — أظن قلتى : منك لله .

« امينه تسكت »

همام — انتى سيبتى ربنا عليّ يا أمينه . هو انا حله ياختى . اجرني ماشفتش يوم راحه . اجرنى ماعرفتش للعز ولا للمال طعم . فتى لى ذنبك فى بيتى . وكان مرر عليّ كل شيء فيه .

حفيظه — أبداً . أنا قلت الله يسامحه . احنا يانسوان ياما بنذبى من أسية رجالتنا فينا .

همام — نسيتى أسيتى .

حفيظه — نسيتها .

همام — وخراب بيتك وظلمك ؟ .

حفيظه — نسيتهم .

همام — دانا ماظلمتكيش وبس . دانا فتحت صدرك بضوافرى . ونتشت قلبك منه .

ورميته الارض • ورفصته برجلي. وفضلت ارفص فيه . ارفص فيه. لما وصلته للسّلم ودقلجته • وكان سايب لى على كل سلمّه بقعة دم • لساها باقيه لى النهـارده • اقلعى القوطه دى •

حفيظه — هيه ؟ •

همام — اقلعيها . ماانتيش قادره تقلعيها ؟ أنا اقلعها لك

« يتقدم اليها ويسرع في ذلك »

حفيظه — انت عيان . انت عيان . ايدك .

همام — قلبك عليَّ. قلبها عليَّ يارب .

(وهو يخلع القوطه . والطرحه . فى غاية الاضطراب)

دا انا عمات زي الطـير اللى زهق من عشه . قل افتش لى على عش تاني . وسـابه وطـار. قاموا الصيادين قابلوه . اللى جرحه واللى عوره . واللى قلع عينه . قام ندم ورجع لعشه القديم تاني . لقي وليفته فيه و بتبكي عليه

(بعد أن يخلع القوطه ويجلسها على أحسن كرسى وهى تبكي .)

همام — اقعدى ياختي . اقعدى هنـا . حفيظه تجلس وتغطى عينيها

يذهب الى التلفون ويحركه ثم يقول :

نمرة ١٩١٩ . « بعد هنيهه : »

بيت الانصارى بك ؟

محمد بك أمين أخويَ عندكم . أنا همام . . . . همام باشا . اللوا همـام باشا .

محمد بك أخويَ عندكم . اندهولي من فضلك (سكوت)

محمد ! محمد ! إنتوا انهيتوا من كتب الكتاب ؟ . طيب . شوف . قل للمأذون يقوم وياك . وروحوا انتوا الاتنين بيتكم . فى شبرا . خد الانصارى بك معاك . فى السر ماتخليش حد يعرف . ليه ؟ بعدين تعرف ليه أيوه « مؤكداً » أيوه . لا أنا ماتجننتش . دا انا بس النهار دا أما عقلت يامحمد .

(يقفل التلفون وينزل الستار على مهل)

الفصل الثانى

قاعة الاستقبال فى بيت أمينه هانم فى الحلمية بمصر
أثاث فاخر على الطراز العربى البحت .
لها باب فى الوسط يفتح على الجنينة .
والى يمينه وشماله شباكان مفتوحان تترأى منهما اشجار الجنينة الضيِّقة .
ولها باب آخر الى اليميـن .
يوم استقبال أمينه هانم .
يرفع الستار عن سيدات . فى أبهى الحلل والحلي ولـكن أمينه هانم فى ثياب دون ثيابهن .
خادمات يرحن ويجيئن . قائمات على شؤون الزائرات ويقدمن أطباق الحلوى وفناجين الشاى
كتابان ملقيان على أحد المقاعد .
عصارى النهار .

المنظر الاول

« أمينه . ليلى . عزيزه هانم . الانسه فاطمه . نفيسه هانم . زينب هانم . »

« الآنسة فاطمه تطلب كتابا من الكتابين »

امينه ــــ اتفضلى ياعزيزه هانم . انتى ماخـدتيش حاجه . ازاى عروستنا . « تقدم لها الحلوى » انشاالله تكون متهنيه .

عزيزه ــــ كتر خيرك . بخير الحمد لله. والنبي هى لاخره سألتني عنك وقالت سلمى عليها

امينه ـــ الله يسلمك ويسلمها . والله هى تستاهل كل خير. زى أبوها وأمها .

عزيزه ـــ من اصلك ياهانم . لـكن شهادتك دي مشبوهه . دى شهادة حبايب .

امينه ـــ هو أنا وحدى اللى بقول كده . معلوم حبايب . من عشرين سنه حبايب . فاكره الفيوم وأيامها . قال جبل على جبل مايتقـابلوش . لـكن ابن آدم مسيره يتقابل . وازاي البيه . مش طيب بخير ؟

عزيزه — الحمد لله . الباشا بتاعكوا قلت عليه النهار دا . وراحو سوا التشريفه . وبعدين قاموا من هناك . راحوا بيت محمد بك امين . عازمهم علغدا . « ثم تقول لفاطمه » ماتقربي يافاطمة . انتي ماخدتيش حاجه يابنتي .

ليلي . « لفاطمه » دا ايه ياختي الكتاب دا اللي بتقلبي فيه من الصبح ! .

فاطمة — دي كتب شعر . واحد مؤلفه محمد بك خورشد . والتاني مؤلفه محمد بك خيري .

(أمينه تروح وتجيء . داعية الزائرات ومقدمة لهن الحلوى . يسمع من وقت لآخر كلمات . ممنونة . تسلم أيدك . بدون أي كلمة أفرنجية . مثل باردون . ميرسي . الخ . الخ .)

ليلي — عربي ؟

فاطمة — عربي ؟ وأنا بقرا شعر عربي . ومين الست اللي فينا بتقرا عربي . خصوصاً أما يكون شعر . دول الشعرا بتوعنا . لاحنا فهم كلامهم . ولاهمن بيفهموا قلوبنا . قاعدين بس يتغزلوا لي في العيون والحواجب . والخصر . لكن العواطف والقلوب . أنا عمري ماشفت شاعر عربي بيوصفها لنا . حتي ان وصفها عايز له منجم . على شان يفهم كلامه .

ليلي — « تضحك » آه . آه . آه . والله صدقتي ياختي .

نفيسه — (لامينه ساخرة) فسطانك دا حلو ياهانم . اشتريته من اين ؟

امينه — من السكة الجديدة

نفيسه — (ساخرة) السكة الجديدة ؟ . اه . اه . والسكة الجديدة دي تبقي فين ؟ آه. آه.

عزيزه — (مؤنبة) ومالها السكة الجديدة مش احسن من النار الكاويه اللي في المحلات الثانيه.

« تسقط ملعقة من يد نفيسه هانم . فتسرع أمينة وتلتقطها »

نفيسه — « معرضة » أسم الله على ايدك . العفو . ماتخلي الخدامه تلمها .

عزيزه — (مؤنبة) كل ست خدامة في بيتها . وماله .

« امينه تضطرب كثيراً وتنظر اليها في ذلة »

عزيزه — (همساً الى امينه) ماتزعليش والنبي ياختي . دي أمرها معلوم . دي لسانها طويل .

أطول منها .

زينب — حقه البيت دا . احسن من البيت دكها ياهانم . بس الجنينه دى باينها اصغر من جنينة البيت الاولانى .

نفيسه لليلى — والله انتى لاخرى ياليلى هانم . عملتى طايب اللى فى البيت دكها . وفتي اللي فيه . ودكهيا من يقدر يسكن وياها . أعوذ بالله !

ليلى — (تقطع كلامها) خالي الباشا . عاوز كده .

فاطمه — « ساخرة تهمس فى اذن ليلى » اسم الله ! . ولا فهمتيش خالك الباشا عاوز كده ليه ؟ عبيطه قوى بسلامتك ؟ ماتسألي عثمان بك وهو يقولك خالك الباشا عاوز كده ليه . آه . آه . آه .

ليلى — ياخيَّه اوعى كده انتى كمان . شوفوا ظنها وداها لحد فين .

فاطمه — بتستعبطيني ياليلى . اه . اه .

عزيزه لفاطمه — يالله يافاطمه. يالله نروح بقى. أحسن امسينا . يابنتي

امينه — مالسه بدري ياعزيزه هانم . اقعدوا شويه كمان

عزيزه — لا ياختي زمان البيه بتاعنا رجع من عند محمد بك . والباشا كمان هلبت ماقرب يجى.

عزيزه . وفاطمه — سعيده . سعيده . اتفضلوا شرفونا . ماتغيبوش علينا .

امينه وليلى — تتشرف . اجعلوها بعوده ياعيني . « عزيزه وفاطمه تنصرفان »

نفيسه — دى مين ياختي اللى شايفه نفسها قوي . مش عزيزه هانم . زوجة الانصارى بك القائمقام .

امينه — أيوه ياهانم . هىَّ بعينها . دى عايله طيبة تمام .

نفيسه — طيبه ؟ طيبة ايه ؟ مش جوزها انصارى بك . اللى كانوا اتهموه عام الاول فى تهمة جمعية سرية . ولا هىَّ ايه . وبرأه المجلس العسكري .

امينه — مادام اتبرأ . خلاص . يبقى ذنبه ايه ؟

نفيسه — صحيح ! لكن اتبرأ ليه ؟ مش سرقوا الورق من الدوسيه بتاعه . الورق اللى كان حايكون سبب فى الحكم عليه . والمجلس لما شاف ان مافيش اثبات عليه . قام برأه ورفتوا الكاتب اللي كان الورق تحت ايده . وقطعوا عيشه . طيبين ايه . بلا طيبين . بلا وحشين . مافيش حاجه بتستخبا .

ليلى — « فى حزن » صحيح مافيش حاجه بتستخبا .

زينب — يالله يانفيسه هانم . انتي حاتفضلى قاعده لامتى . يالله بنا قومي . « ثم تقول لامينه » سعيده ياهانم . سعيده ياليلى .

نفيسه — يالله ياختي خديني وياكى . سعيده ياست امينه . سعيده

امينه وليلى — (فى فتور) سعيده ياست . سعيده . شرفتي . « تنصرف نفيسه وزينب »

المنظر الثاني

ليلى . امينه .

امينه «حانقة» سمعتى كلام نفيسه ياليلى ؟ سمعتى تاسينها ؟ خدامه ؟ انا خدامه ؟ لأ و بتحقرني كني باسترخص وباشترى حاجتى من السكه الجديده .

ليلى — والنبي ماتاخدى على خاطرك . ولا تزعلي . خلاص لاعدنا نروح لها . ولا هى تجينا. بقي يعنى هي اللاحسن ؟ ليه هى بنت مين ؟ مش بنت النقلى اللى فى سيدنا الحسين نسيت سكة بيت ابوها ؟

امينه — ومنين ياختى خدت خبر فى سرقة أوراق انصارى بك من المجلس العسكرى .

ليلى — ماهو جوزها ضابط . صاغ باينه . والا بمباشى . ضروري يكون قال قدامها .

امينه — خدى عندك بقي . حاتشيل الحكايه دي . وتدور بها علحبايب .

ليلى — واحنا مالنا . ومين عارف إن اخوالي لهم يد فى المسأله دى

امينه — مين عارف ازاى . ما كل الناس عارفه ان انصارى بك حبيب خالك الباشا الروح بالروح . ومتربين سوى . وطبعاً .

« تدخل سيده الخادمه »

المنظر الثالث

امينه . ليلى . سيده

ليلى لامينه ـ هس . هس .

سيده — عثمان بك بره ياستي

امينة مضطربة — الله ! بره . خليه يتفضل. قولى له يتفضل .

ليلى — بره ! بره ازاى ؟ هو غريب . قولى له اتفضل . حالا

امينه — أنا حاخرج من الباب دا . أحسن بيختشى منى . ويمكن ياخد على خاطره .

ليلى — زى مايعجبك يامراة خالى . امرك .

المنظر الرابع

(يدخل عثمان باد عليه اثر الانكسار . ولكنه متأنق فى ثيابه غاية التأنق)

ليلى . عثمان

ليلي فرحه — اهلاً عثمان بك . ازيك ؟ اقعد . اقعد . من زمان وانت مستنى ؟ هو انت غريب ؟ تستنى أما يأذنوا لك . هات العصايه دي . هات . (تنظر اليها) الله ! دى حلوه قوى . ياسلام ! .

عثمان — غريب ؟ لأ . لكن امى جت الايام اللى كنت بقولك أنا خايف منها . وكنتى تقولى لى لأ ما تخافش .

ليلى — صحيح ! لكن انا ما كنتش حاسبه انا حاتجي بدرى قد كدا .

عثمان — فاكره ! لما كنت أقول لك أنا خايف من ابوى . أنا خايف من أمى . حايجى يوم . والحبل دا اللى بيشدوا فيه كل واحد من ناحيه ينقطع . وتدور الدوره على ويمكن تدور عليكى انتى كمان .

ليلى — فاكره ياعثمان .. فاكره .. لكن احنا طالع فى ايدنا ايه إن كان انا والا انت . كنا

حاتقدر تعمل ايه أكتر من اللى عملناه . ياما هدينا فى أخلاقهم . ياما حايلناهم . ياما صالحناهم . لكن كل دا ماقعش . والمحظور اللي كنا خايفين منه وقع خلاص.

عثمان — دا انا كنت مطمن . وكنت أقول امى ليلى معاى تساعدنى علغلب اللى انا فيه أحط همي على همها . لكن ليلى مافضلتش لاخري .

ليلى — « مازحة ومقدمة نفسها » ليه ؟ هو انا رحت فين ؟ ماادينى اهو !

عثمان — (متما فكره) أمى طهقتها . وأبوي قالها روحي البيت الثاني .

ليلى مازحه — ياخي اوعى كده . ويالله . ان كنت انا فى البيت دا والا عند كوا ماهو واحد . برضه فاضله على قلبك (تمرك يديها) على قلبك . هو انا حانسى البيت دكها ابدا . نجرى ونلعب . فضلت الزلازل تهز فيه . تهز فيه .

عثمان — لما وقعته . لكن وقعته على مين . عليهم ؟ لا . أبوي بناله بيت تاني وسكن فيه . وامي تحور وتدور وترجع تفش غلها فيّ . وتقولي انت ! انت زيهم ! البيت وقع عليّ انا وحدي بس !

ليلى — ايه ؟ صحيح ؟ عليك انت وحدك بس

عثمان — وعليكى إنتى كمان ياليلى . لكن انتى حاييجى يوم تلاقي فيه نصيبك . وتبعدى عن البيت دا . وتسيبيه ينعي اللي بناه . وافضل أنا وحدي .

ليلى —(حانقة) اهو حايعمل لى شعر ! طيب اسكت اسكت . بلا نصيبي . بلا قسمتي

عثمان — اسكت ؟ اسكت ليه ؟ مش صحيح ؟

ليلي — لا مش صحيح . ولا حاييجني نصيب ولا حاجه (تمرك يديها) على قلبك . مش عاجبك ؟

عثمان — عاجبنى (يضحك فرحاً) اه. اه. اه حاقولك ايه

ليلي — ايوه اضحك كده . وشيل العقده دى اللى على جبينك . يابای يامنتا وحش بالعقده دى . ماتسيبهم ياكلوا فى بعض . ولا تزعل ولا تنقهر . اعمل زيهم . هم سألوا

فينا ؟ لأ . همن قالوا مايصحش ! لنا اولاد ويمكن ينقهروا ؟ لا . همن دوّروا على راحتهم ولا سألوش عنا ! خلاص . انت ماتلاهيش نفسك فى الامور دي . خليك فى مدرستك . وفى المذاكره بتاعتك كلهم يومين ويفوتوا . ويجي يوم والحزن دا يخليك راجل . وتبقى الدنيا سهلة قدامك . مافيش حاجه تربى الانسان زى الحزن ياعثمان .

عثمان — (فى غاية الدهشة) وانتى ايش عرفك فى دا كله يابنت امبارح ؟

ليلي — ايش عرفنى ؟ ما انا يتيمه ياعثمان ؟ واليتيم بينزل وينقهر بدري . وهو اللي بيتربى ويتعلم قبل الناس كلهم .

عثمان — بقي انتى يتيمه ؟ اخس عليكي ياليله . وهو ده كلام تقوليه انتى ياليلى .

ليلي — نهايته . خلينا فيك انت . خلاص ؟

عثمان — « مؤكداً » خلاص !

ليلي — ولا بقتش تزعل ابداً ؟

عثمان — « مؤكداً » حاضر . مابقتش ازعل ابداً . ينفلتوا

ليلي — ولا تنقهر .

عثمان — ولا انقهر .

ليلي — طيب تعالى بقى اما أحليلك بقك (تأخذه من يده وينجذبان للطاولة التي فوقها الحلوى)

ليلي — (فرحة طروب وفى غاية اللباقة والسرعة) كل ياخوى . الحته دى . دي بالسكر يمه . « تضعها فى فمه » . ودي بالسكر اللي بتحبه . « تضعها فى يده » والنبي ماتزعل ابداً ودى كمان .(تضعها فى يده الاخرى)وشويه الملبس دول حطهم فى جيبك (تفرغ الصحن كله فى جيبه) . ودول كمان « تفرغ الصحن كله فى جيبه الاخر » .(تهيء له قطعة اخرى) افتح بقك . ايوه زي زمان لما كنا صغيرين . ونلعب العروسه والعريس . قال العروسه وحشه . ومش عاجبه العريس . وهى قال قاعده تحايله . وتحط له البقلاوه فى بقه .

عثمان ــ (مشغول بالطعام) بس . بس بزياده قوى . زورت والنبي زورت .

« همام باشا في الجنينة ينظر اليهما بدون ان يشعرا به »

ليلى ــ اجيب لك كباية ميه ؟ حاضر . وادي الميه . تشرب فنجان شاى ؟ (تنادى) سيده! صوفى ! . ماريكا ! .

عثمان ــ ماهو الشاى اهو . ماتنديهيش حد . والنبي خلينا وحدنا .

ليلى ــ لا . يجيبوا شاى سخن . احسن دا برد .

(صوت همام باشا من الجنينة . ليلى وعثمان ينعران وكل منهما يتجه لناحية مسرعين)

همام ــ انت ياولد ياجنايني . أنا مش قايلك . اقفل الميه دى . الشجر منور . عجايب ! انتوا مابتسمعوش الكلام ليه ؟ اقفل الميه حالاً .

المنظر الخامس

(يدخل همام باشا فى ثياب التشريفة الكبرى . تظهر عند مايخلع المعطف عنه)

همام باشا . ليلى . عثمان .

همام ــ اهلاً عثمان . ازيك بابا . يعنى من زمان ماشفتكش ؟ ليه . مابتجيش ليه . اديتى له الفلوس ياليلى . (عثمان يقبل يده)

ليلى ــ الله ! انا نسيت . شوف عقلى . والنبي نسيت ياخالى .

همام ــ (حانقاً) وايه اللى نساكى ياخالى! ايه اللى خدعقلك ياخالى. عجايب «يأخذ عثمان لناحية» امك قالت لك حاجه تقولها لى ؟

عثمان ــ امى كانت غايبه فى الاسكندرية . عند ابن عمها الجرنالجى . مارجعتش الا امبارح بس . قالت انا كتبت لابوك ماردش عليّ . مادواش مستعنى . مابيردش ليه ؟

همام ــ هى فى البيت النهار ده ؟

عثمان ــ لأ . خرجت من الصبح . ماعرفش راحت فين . لكن كانت زعلانه قوى .

المنظر السادس

(تدخل امينه)

همام . ليلى . امينه . عثمان

امينه — سعيده ياباشا . اهلاً بعثمان . ازيك يابنى ؟ طيب ؟ يعنى من زمان ماحدش شافك ؟

عثمان — الحمد لله ياخالتي . بس أنا كنت مشغول بالمدرسة . وفى تحضير الامتحانات .

امينه لهمام — كان فيه ناس كتير في التشريفه ياباشا .

همام — حته كتير قوى . ولا سنه كانت زى السنه دى . خرجت من هناك وفت على محمد اخوى زى ماقلت لك . اتغديت عنده انا والانصاري بك . وارتحت شويه وجيت. لكن الدنيا حر. انا حاطلع اغير الهدوم دول وانزل. احسن انا حران قوى

ليلى — الكهربا مقطوعه ياخالى . والراجل بيصلح فيها . ماتخرج الجنينه شويه مادمت حران . لغاية اما يخلص .

همام — برضه فكره . يالله يابنتي . يالله ياعثمان . تجى معانا ياهانم .

امينه — لا ياباشا . انا حافضل هنا . على بال ماالخدامين يروقوا الصاله دي

« يخرج همام . وعثمان . وليلى من باب الوسط للجنينة »

المنظر السابع

امينه . والخادمات

امينه تنادى — سيده ! صوفى ! ماريكا !

تدخل الخادمات »

امينه — روقوا الصاله دى شويه « تشير الى بعض الانية »

(الخادمة الاولى) شيلى دول . خليهم يغسلوهم حالا

(« الاخرى) خدى دى انتي لاخرى. استعجلى.

(« الاولى) امليى دا ورجعيه

تدخل سيده الخادمة وهى تقول

سيده — اتفضلى يلست . نعم . موجوده . اتفضلى .

المنظر الثامن

تدخل نورسكا وترفع النقاب الافرنجي عن وجهها . — . الخادمات يتركن كل شيء ويذهبن .

امينه . نورسكا

امينه منزعجه . هيه ! . .

نورسكا — « ڨ وتار » سعيده ياهانم !

امينه تنحني امامها . ولا تجيب لدهشتها . ثم تقف الاثنتان امام بعضهما هنيهة .

امينه — اتفضلي ياست . اتفضلي .

نورسكا — زياره غريبه ياهانم انا فاهمه . بس انا جيت اقابل الباشا . من اربع اشهر ماشفتوش والحاله دي مايمكنش تدوم . والصبر له حدود . انا مش جايه اعاتبك انتي . حضرتك مالكيش ذنب . انتي مظلومه زيي .

امينه — مين قالك ياست اني انا مظلومه : هو انا اشتكيت لك ؟

نورسكا — ما دمت انا موجوده . وانتي موجوده . احنا الاتنين مظلومين . احنا ستات وبنفهم بعض . إن اشتكيتي والا سكتي . مظلومه برضه . ومتعذبه زيي

امينه — متعذبه ؟

نورسكا — نعم متعذبه . متعذبة زي اللي له عدو جوا بيته . أنا عدوتك وانتي عدوتي . دا شيء أنا فاهماه . وانتي كمان فاهماه . انتي بتكرهيني . وانا بكرهك . مع اننا لازم نكون حبايب .

امينه — حبايب ؟ حبايب ازاى ؟ .

نورسكا — معلوم حبايب . انا وانتي مظلومين . والمظلوم لازم يحب المظلوم اللى زيه . مش يكرهه . انتي توهمتي انى انا اخدت جوزك منك من عشرين سنه . وقعدتي عشرين سنه تكرهيني . حاتحبيني دلوقتي ؟ لا . دا شيء مش فى قدرتك . وانا متوهمه انك انتي خدتي جوزي مني . بمعنى الحقيقه . اني انا ماخدتش جوزك

هوَّ اللى خدنى . والحقيقه انك انتى ماخدتيش جوزى . هوَّ اللى خدك . وانا جايه النهار دا أنصف نفسى وأنصفك .

امينه — (منعوره جدا) تنصفينى ؟ تنصفينى يعنى ايه ؟ تنصفينى ازاى ؟

نورسكا — لأ . لأ . ماتخافيش . أنا مش من الستات الافرنجيات اللى فى بالك منهم . دكهمه . اللى بيخبوا روفلفر فى عبهم ويضربوا به . لأ ياهانم . انا مش من دول بس انا مااقدرش اسكت على الراجل اللى فى ايده كرباج و بيضربنى به . واقول له اضرب كمان . ولا اقدرش ابوس الايد اللى بتضربنى . ولا اقدرش اقول سلم فمك اللى بيعض قلبى بسنانه .

امينه — ولا انا كمان ياست

نورسكا — شفتى ياهانم اننا اتفقنا . ولما كنت بقولك من ساعه احنا حبايب ومظلومين . ماصدقتنيش . وهزيتى اكتافك .

امينه — لا . بس احنا بنقول كل شىء قسم . وبنصبر . حانعمل ايه ؟ قسمتنا كده

نورسكا — اهى دى الكلمه اللى طمعت الرجاله فينا . قسمتنا ! ولما تقول قدامهم دى قسمتنا يقوموا يظنوا إن ظلمهم فينا عدل مادام الظلم دا مكتوب علينا . لا ياهانم مش قسمتنا . الظلم ماهواش مكتوب على حد ابداً . الظالم لما يظلم . مايطلعش امر حد فى ظلمه . ماحدش قال له اظلم . لا ربنا ولا الناس . لما هام ظلمنى كان حر . ولما ظلمك كان حر . والراجل الحر مسؤول عن عمله . الراجل من دول لما يدوس كلب فى الشارع . يقوموا عليه اصحابه ويدفعوه تمنه . ولا حدش يقول الكلب دا قسمته يموت منداس . ولما الراجل دا اللى داس الكلب ودفع ديته . يدوس مراته اللى ادته شبابها وجسمها . لما يرميها الأرض ويتّكى برجليه على صدرها لغاية أما يتفقها قلبها من بقها . حضرتك عاوزه ان الست دى لما ترجع تقف على حيلها . تبص له وتقوله . قسمتى ! دوس كمان ؟ أبداً ياهانم . احنا مانقبلش كدا ابداً .

امينه — ولا احنا يا ست قبل كده

نورسكا — وعملتوا ايه على شان تردوا الظلم دا عنكم ؟

امينه — ماقلت لك بنصبر . وتتعشم .

نورسكا — لسَّا كي متعشمه فيه ؟ لسَّا ؟ دا ماظلمك أول مره وظن انه حاير تاح معاىَ . لكنه شاف ان بينى و بينه هوَّه ما قدرش يخطيها . كنتي انتي بينى و بينه مدة عشرين سنه . انتي كنتي فى قلبه وكنتي بتمثلى له الراحه اللي على قد عقله . جه يوم وقال انصف امينه . مش محبه فى امينه . لا ! دا بس على شان الانصاف دا كان فيه ظلم عليّ انا . وما انتيش خايفه انه ييجى يوم ويقولك . نورسكا ! انصف نورسكا . دول عشرين سنه . دول عمر . يقولها ولاشيء

امينه — لا مايقولهاش ابداً .

نورسكا — مايقولهاش ؟ صحيح ؟

امينه — نعم . مايقولهاش . لكنه جرب دلوقتي وفهم . ان الراحة الحقيقية ماهياش راحة الجسم دى راحة القلب . وانتي لما ادتيه . ادتيه جسمك وشبابك بس . لكن قلبك فضل وياكى .

نورسكا — ومين قالك ياهانم اني انا ما ادتلوش قلبي ؟

امينة — بقى يمكن قلبك غريب لاخر . و بيتكلم لغه غير لغتنا . قام الباشا مافهموش . حاكم احنا رجالتنا لما بيخشوا بيوتهم يقوموا يرجعوا لعوايدهم القديمة ولغتهم اللى بيعرفوها من الفين سنه . والغريب اللى مايعرفش لغتهم لازم يتعلمها . وان ماتعلمهاش يخرج من بلدنا . ويروح يفتش له على بلد تانيه يفهموه فيها .

نورسكا — دا انا من عشرين سنه . ماتعلمتش فى بيته الا البكا

امينه — كنتك من عشرين سنه . وانتي متنمزده . ولا رضتيش تحطيها واطي أبداً .

نورسكا — يعنى المذل ؟

امينه ـــ لأ . احنا ياست لما تقول رجالتنا ياسيدى . مابنزلش ابداً . انا فاتت عليَّ ايام ياست كنت حرَّه فيها . حرَّه يعنى ما كانش حد حاكمنى . لا زوج . ولا أب . ولا أخ . الله لا يرجعها أيام . علمتنى الايام دى ان الواحده منا . لما ما يكونش لها راجل تطيعه وهوَّ يشيل همها . يقوم يجيها يوم . تضطر فيه . انها . تطيع . الرجاله . كلهم.

« تقول هذه العبارة الاخيره كلمه كلمه »

نورسكا ـــ عبس . عبس . انتوا حاتفضلوا كده طول عمركم . انتوا ! . . . .

امينه ـــ « فى غضب شديد كأنها تطردها » احنا ؟ احنا مالنا . احنا . (يسمع صوت الباشا) اهو الباشا جه . كليه انتي ياست .

المنظر التاسع

همام . ليلى . عثمان . امينه . نورسكا

(صوت الباشا من الخارج آتياً مع ليلى وعثمان . ـــ . ليلى فى يدها وردة)

همام ضاحكا ـ اه. اه. اه. اه. ماقلت لك الدنيا ليل . خلى الجناينى يقطع لك الورده دى . اديكي شوكتى صوابعك . تستاهلى .

ليلى ضاحكه ـ ماعليهش ياخالى . مافيش ورد من غير شوك .

همام ضاحكا ـ اه. اه. صحيح مافيش ورد من غير شوك . صحيح يابنتى .

المنظر العاشر

« يدخلون دخول اعتيادى وهم لا يعلمون ما جرى فى غيبتهم »

(همام عند رؤيته نورسكا . يقف فى مكانه حائراً) ـــ (ثم يصرف الجميع)

همام لامينه ـ من فضلك ياهانم . خدى الاولاد وسيبونى وحدى معاها . .

(امينه وليلى وعثمان يخرجون الجنينه)

المنظر الحادي عشر

همام . نورسكا .

همام — نعم ! انا فاهم انتى جايه ليه يانورسكا النهار دا . انا كنت منتظر الزياره دى . ومستعد لها من زمان . انا عارف إن اللي زيك انتى مش حايسكت على عملته انا . وانتى فاهمه ان اللي زيي انا مش حايرجع عن عمل . عمله بحق .

نورسكا — بقى انت لك حق فى اللى عملته ؟

همام — نعم أنا لى حق فى كل اللى عملته . انتى كنتى خاقانى . وفضلتي تخنق فيّ عشرين سنه . لغاية اما ضاق صدرى . ضاق خالص . وشفت انى بنازع وقربت اموت . قامت فاتت من قدامى واحده كنت ظلمتها انا من عشرين سنه . من يوم ماحطيتي ايدك انتي فى زورى . . . .

نورسكا — وساعتها قلت انا لازم انصفها . ضميرك ماريحكش ؟

همام — نعم ضميرى ماريحنيش .

نورسكا — وضميرك دا . كان فين من عشرين سنه لغاية النهار دا ؟ كان نايم ؟ والا كان ميت ؟

همام — كان صاحي . وبيوبخني كل يوم .

نورسكا — النهاية . نصفتها . لكن ظلمتني انا .

همام — انا ماظلمتكيش . انتي اللي ظلمتي نفسك . لو كنتي ريحتيني يوم واحد فى العشرين سنه اللى عشتهم وياكى : . . .

نورسكا — ما كنتش ظلمتنى ؟

همام — طبعاً ما كنتش ظلمتك .

نورسكا — « فى تهكم » وكنت فضلت ظالم ذكيها . الست امينه عايزه اقول . ولا كنتش انتبهت لصوت ضميرك اللى بيوبخك من عشرين سنه .

همام — كنت لقيت طريقه تانيه . انصفها وانصفك .

نورسكا — ايه ؟ صحيح ؟ والطريقه دى كانت حا تكون ايه يا ترى . اللي توفق بين الميه والنار . ما افتكرتش فيها . ان كانت ممكنه والا لأ . ماترديش ياهمام بزياداك بقى . الكلام اللي بتقوله دا . دا كلام واحد ما بيقدرش العواقب. خلي ضميرك على جنب. وخلي كمان انصافك علي جنب . وخلي اتهامك لي على جنب . ما تقدرش تثبت النهارده قدامى . بعد اللي عملته . وجود ضميرك . لان الضمير ما بيتغيرش كل يوم فى شكل . ولو وجود انصاف عندك . لان الانصاف ما يكونش فى راحة واحد وظلم التانى . زى الحرامي اللي بيسرق علي شان يحسن علي الناس . وكل شيء تقدر تتهمنى فيه . ان طبعى الافرنجى . ماوافقش طبعك الشرقى . لكن دا مش ذنبي انا . هو انت عاوز تحملنى ذنوب الافرنج كلهم .

همام — وانتى ياما حملتيني من ذنوب الشرقيين كلهم . هو انتى ما كنتيش عارفه انى انا شرقى ؟ اتجوزتيني ليه ؟

نورسكا — مش انا اللي اتجوزتك يا همام . انت اللي اتجوزتنى . انت الراجل . وانت اللى بتختار . فى الزواج الراجل هو اللي بيختار في الاول فى غاية الاسف . لكن فى الحب الست هى اللي بتختار فى الاول .

همام — انا اتجوزتك علي شان تطيعيني انتي مش انا اللي اطيعك . على شان تندمجى فى انتي . مش انا اللي اندمج فيكي

نورسكا — « موافقه » دا صحيح .

همام — على شان تعيشى انتى زيى : مش انا اللي اعيش زيك .

نورسكا — دا صحيح .

همام — وتاكلى زى ماباكل . وتشربي زى مابشرب . وتلبسى زى ما انا عاوز

نورسكا — دا صحيح .

همام — وتفتكرى زى ما انا عاوز .

نورسكا — «غاضبة» دا. لأ . ابداً . مش ممكن . مستحيل . تستعبد جسمى ماعلهش .
لكن تستعبد عقلى ؟ ابداً .

همام — لكن احنا كده . احنا عايزين اللي ترضى بالاستعباد دا فى جسمها وفى عقلها

نورسكا — لآ . دى ماتلاقيهاش ابداً . لاعندنا ولا عندكم .

همام — لكن انا لقيتها .

نورسكا — لا مالقيتهاش . انت لقيت واحده ساكته . لكن ما لقيتش واحده راضيه .
السكوت شيء . والرضا شيء ياهمام . انت لقيت واحده ساكته ظنيت انك
استعبدت عقلها مع جسمها . لكن لا . الحقيقة ان عقلها بيتمرد عليك كل ساعه
(ترفع صوتها)
يبجى يوم . ونسوانكم تطهق . وترفع صوتها . ويومها ماتقدروش تسكتوهم ابداً .

همام — «بغضب» انتي بتقولى الكلام دا على شان تعذرى نفسك . من عشرين سنه وانتي
رافعه صوتك ولا حدش قادر عليكي .

نورسكا — ابداً . انا بقول الكلام دا كنى حرّه .

همام — (ساخراً) حرّه ؟ الحريه دى تعلمتيها فين؟ فى كتب الفلاسفة بتوعكم. فى القصص
والروايات اللى بتقروها . الحريه عندكم معناها التهتك .

نورسكا — والحريه عندك معناها التلذذ .

همام — «يندفق كالسيل» . انتى دخلتى بيتي . ومن يوم مادخلتيه شمختي بمناخيرك . وبصيتي
لنا من عالى قوى . ماحدش منا عجبك . ولا انتي عجبتي حد . مافيش الاّ المسكين
محمد اخويَ اللى استحملك . وياريته عاجبك لآخر . لكن نسوانّا . لا انتى
استحملتيهم ولا همّ استحملوكى . امى ! امى . ماتت ولا دخلتش بيتى . اختى
سنيه امّ ليلى ماتت رحتى عزيتى فيها بروعتب بس . اختى عيشه جت عندى
مرّه واحده ولسانها بتمنى فيها لغاية النهار دا . ماخنتنيش لا فى عرضى ولا فى مالى

صحيح. لكن عملتى اكتر من كده. احتقرتينى وعملتى نفسك إله وحبيتى تخلقينى خلقه جديده . خالفتينى فى عوايدى . وفى اخلاقى . وحبيتى تقنعينى بالعافيه انك انتى احسن منى . غيرتى كل شىء فى البيت دا . حتى العفش ياشيخه ملسلمش منك . فضلتى معاى عشرين سنه . والكبر نافخك . ماشاركتناش لا فرح ولا لحزن ولا افراحه . ولا فتعب . دخلتى بيتى غريبه . وفضلتى فيه غريبه . لغاية النهار دا. كان كل همك . انك تغيرى اخلاقنا وعوايدنا . اللى اتربينا عليها . احنا وجدودنا من ميات من السنين لغاية النهار دا

نورسكا ــ «فى غضب واحتقار» ما يكنّ جدودك دول بقوا رم وتراب فى الارض . وانت لغاية النهار دا بتقول اعمل زيهم . ماحدش عاجبك غيرهم . بص قدامك . وبلاك وبلاش الرم اللى وراك .

همام ــ جدودى دول اللى بتقولى عليهم رم . ياما ضربوا جدودك علق . وفضلوا يجروا وراهم بالسيف لغاية اما خلوهم يعدّوا البحر المالح عوم .

نورسكا ــ وجدودي دول اللى عدوا البحر عوم . اولادهم مارجعوش تانى . اه . اه. اه . قعدت عشرين سنه اعلمك الطريقه اللى بها تطردهم تانى . ماقدرتش .

همام ــ علمتينى ؟ انا مش عايز علمك دا . اللى بالتحقير والعافيه . احنا مااحناش همج على شان تحتقرونا . ولا احناش عبيد علشان تسوقونا بالعصايه . خلى علمك لكى .

نورسكا ــ انا متعلمه . لكن انت مانتاش عايز ست تشاركك . انت عايز واحده تخدمك بس . تديك جسمها . وتضحك عليك بالباقى .

همام ــ احنا عايزين واحده تطيعنا . واحنا نشيل همها . ماحناش عايزين واحده تحسن الينا . وهيّ تكرهنا .

نورسكا ــ انت محسن ...

همام ــ نعم محسن . بيتى لساه بيتك لغاية النهار دا وانا انيمتك امينه . لكن عدليت معاكى

نورسكا — ايه ؟ بتقول ايه ؟ نصفت ؟ عدلت . أنت منصف وعادل ياهمام (تروح وتجىء كالمجنونه)
يارب ! همـام باشـا . اللوا همـام باشـا . قال منصف وعادل . قال زيك يا رب .
همام باشا بيوكلني و بيكسيني . ومسكني فى بيت سرايه . لـكنه داس على قلبي .
زي ما بيـدوس على حجر . ما فهمش ان قلبي فيـه دم . لاخر . زي قلب
امنيه . الخدامه .

همام — « فى غضب عظيم » . اسكتى ؟ انتى ما نتيش راجعه عن الفجور دا .

نورسكا — مين الفاجر فينا ؟ لما آخد راجل يشاركك فىَّ . زي ما انت خدت واحده تشاركني
فيك . ابقى فاجره صحيح .

همام — « بصوت واطى اجش » اخرسى . اسكتى . هوانا زنيت . هوانتي ما كنتيش عارفة ان دا .

نورسكا — « تقطع كلامه » انا عارفه . انا عارفه . ان ر بنا خيرِّكم خيرَّكم بس يارجاله . وقال لـكم
اتجوزوا . اتجوزوا . اتجوزوا . لـكن ر بنا ما قالناش . وانتوا يانسوان اسكتوا .
اسكتوا . اسكتوا . ر بنا سابنا عليـكم .

همام — « فى اقصى درجات الغضب » اسكتى . اخرسى .

نورسكا — لا ما اخرسش . قبل ما تسكت انت .

همام — « بصوت كالرعد » اخرجي برا ! ! امشى

« يمسكها من يدها ويدفعها خارجا »

نورسكا — قبل ما تمد ايدك علىَّ . روح شيـل السيوف اللى ملزقه على كتافك . وخبى
النياشين اللي بتلمع على صدرك . وَحش ! انت وَحش لا بس قصب .

همام — (بصوت كالرعد) وانتي طالقه ؟

نورسكا — (تضحك كانها مجنونه) اه . اه . اه .

ليلى . وعثمان . وامينه . يدخلون مذعورين

ليلى — الله ! الله ! جرى ايه ؟ ايه دا .

نورسكا — طبعاً ! الفلاح بيضرب مراته بالعصايا . والمتمدن بيضربها بالطلاق على وشها .

همام — (يرغي ويزبد) انتى طالقه كمان مره

ليلى — « تتعلق به » خالي ! . خالى ! . دى ام عثمان ياخالى .

نورسكا — طالقه . اه . اه . اه . انا ما اعتبرتكش جوزى ولا ساعه في العشرين سنه اللي فاتوا

همام — « بصوت خارج عن طاقة البشر » انتى طالقه كمان وكمان

عثمان يقع على المقعد . وامينه أيضاً

نورسكا — ابنى ! . اخد ابنى .

كالمجنونه ترتمى على ابنها

همام — ابنك ؟ هو فين ابنك دا ؟ دا ؟ دا ما هواش ابنك يانورسكا . بصى له كده ؟ ما فهش حاجه منك . لا عنيه زى عنيكى . ولا شعره زى شعرك . ولا ملامحه زي ملامحك ولا شكله زى شكلك . ولا عقله زى عقلك . بصى له كويس يانورسكا احسن ما انتيش ما حاتشوفيه بعد النهار دا ابداً .

« نور سكا يسقط فى يدها وتنقلب على أمرها فتقول بصوت حزين »

نورسكا — ابنى ! دمى ! قلبى !

همام — سكتي ! متي دلوقتى ؟ ميّ ؟ دانتي طالقه ياشيخه بعدد القبور اللي اتفتحت من آدم للنهار دا . دانتى طالقه بعدد نجوم السما . و بعدد رمل البحر . خرستى دلوقتى ؟ سكتى ؟ متى .

ليلى — بس ياخالى ! بزياده ياخالى . حرام عليك . (تحاول دفعه)

همام — ابعدى يابنت . سيبينى اقول لها كلمه كمان (بصوت كالرعد) انتى طالقه ! انتى طالقه ! انتى طالقه .

« ثم يدخل البيت وصوته يدوى فيه » انتى طالقه . انتى طالقه . انتى طالقه .

« عثمان مصعوق . نورسكا حاضنة ابنها على المقعد . ليلى متعلقه فى ثياب خالها . امينة فى جمود تام »

(لو ينزل الستار على مهل)

الفصل الثالث

قاعة المكتب فى بيت أمينه فى الحلمية . جنينه صغيره واسوار عالية تتراءى من النافذة .
طراز عربى بحت
لها باب فى الوسط .
الى يمينه باب غرفة عثمان .
وباب آخر الى اليسار
كراسى جلد . ومكاتب فاخرة .
قفص صغير قأيم علي ثلاثة ارجل فيه ادوات التطريز والحياكه
الواح معلقة مكتوب عليها آيات من الكتاب المعظم
« واخفض لهما جناح الذل من الرحمة »
« امساك بمعروف أو تسريح باحسان » الخ الخ
يرفع الستار عن عثمان جالساً وراء مكتب . نائم وذراعاه مطويتان تحت رأسه
ليلى جالسه بالقرب منه . تعمل فى حياكة كرافته . وتعد العقد التى تحيكها بصوت مرتفع

المنظر الأول

ليلى . عثمان

ليلى — « تعد عقد الحياكة » . واحد . اثنين . اربعة . عشرة . واحد . اثنين
« ثم تنادى بصوت هادىء »
عثمان ! عثمان !
« عثمان لا يجيب . تتعود الى حياكتها »
واحد . اثنين . اربعه . عشره
« ثم تنادى بصوت عال »
عثمان ! الله ! . ما تصحى بق . شوفوا ياخواتي دا اللى نايم بهدومه
(تقترب منه وتهزه فى رفق . وتنصر الكرافته)

عثمان ! قوم شوف الكرافته بتاعتك . اهي قربت تخلص . « تمسك يده وتهزها »

عثمان !

الله ! انت سخن :

عثمان — « يرفع رأسه قليلا وينظر اليها »

ليلى — « فى حزن واستغراب » الله ! . أنت بتعيط ؟

بتعيط ليه ! . اخص عليك ! هو انت عيّل ؟ « تنهضه » قوم . قوم من ورا المكتب دا . والنبي ما تعيط ولا تتقهر أبداً .

(عثمان ينهض معها)

هو انت صغيرّ ؟ ليه العمايل دى فى نفسك ؟ هو جرى ايه فى الدنيا حاتعيي نفسك اديك سخن اهوه .

عثمان — « غضبه يتصاعد شيئاً فشيئاً » حا يجري ايه ياليلى أكتر من اللى جرى ؟ لما ابوى رجع لخالتي امينه . فهمت انا ان ايام الهنا راحت . وحايجى غيرها . وكان ظنى فى محله . أول شيء عملوه قالوا ليلى ما تقعدش هناك عند نورسكا . دي بتفسد اخلاقها . ليلى تيجي هنا وجابوكي هنا . قلت ما علهش . فضلت انا وامي . رامى فى راسها . طول النهار تندب حظها وتقش غلّها فىّ . قلت ما علهش . دى امك ياواد . مسكينه . و بعدين ابوى قلت امي . وبأى كيفيه . انتى كنتى واقفه وسامعه . قلت ماعلهش دا ابوك ياواد ودى امك حاتعمل ايه ؟ افضل معاها . على كل حال . لكن ابويّ حكّم رأيه انى افوتها انا لآخر . قلت ما علهش . انى اروح لها اشوفها . كل مده ومده . لكن ابويّ حكّم رايه كمان ما اروحلهاش ابداً . قلت ما علهش .

ليلى — « مازحه » ما انت بتتسرق من وراه و بتروح لها . اوعى كدا ياخى بلاش تهويل . ولما بيسألونى عثمان راح فين . بقولهم دا راح المدرسه يشوف ان كانت نتيجة الامتحان ظهرت والا لأ .

عثمان ــ « فى حزن » ماهو لولا كى انتى ياليلى . ماكانش الواحد يقدر يقعد فى البيت دا . ولا دقيقه .

ليلى ــ « مازحه » نعم ؟ ليه ؟ ايه اللي خاسس عليك فيه ؟ .

اياك انت عاوز تلعب الاستغمايه زي زمان ؟ حاضر نلعب الاستغمايه . والا نخرج نجرى ورا بعض فى الجنينه ؟ . حاضر نجرى . والا نصور فتوغرافيات أنا وانت . حاضر . نصور ؟ عاوز ايه . بس قول لى اللي عاوزه ايه ؟

عثمان ــ نلعب ؟ ونصور ؟ ونجرى فى الجنينه ؟ هما يخلونا ؟ دول يمكن ييجي يوم يقولوا لك انتى لاخرى ما تقعديش هنا .

ليلى ــ « فى عجرفه » يقدروا ! .

عثمان ــ هو انتى تقدري عليهم . دول بيتغامزوا علينا .

ليلى ــ « فى غاية البساطه » ينفلقوا .

عثمان ــ لا والله ياليلى . اظن ان أيام الهنا اللى راحت . ما هياش راجعه ابداً .

ليلى ــ ايه هوّ ؟ مين قالك ان أيام الهنا راحت . دا انت يادوب عمرك ١٨ سنه . ياما لسا قدامك من أيام هنا . الأيام الهنا راحت . بقى اكمن ابوك فات امك خلاص . تقوم انت تيأس اليأس دا كله ؟ . امال انا اقول ايه ؟ . انا اللي اسمى بنت . وتيتمت من عشر سنين . من الام ومن الاب . ماياسبتش يعنى . واهو ربنا دبرنى .

عثمان ــ وانا لاخر يتيم من الاب . لكن ابوى طيب . واتيتمت من الام . لكن امي طيبه . والله يتملك أحسن من يتمى ياليلى .

ليلى ــ بس . بس بس وحياة ابوك . قل يتمى احسن من يتمه قال . طيب ادينا احنا الاتنين يتاما . ولا حدش يفهم اليتيم الا يتيم زيه .

عثمان ــ أنتي لقيتى ناس حبو كى . وحنوا عليكى .

ليلى ــ (تنظر اليه نظرة حلوة) بقى انت ماانتش لاقي حد يحبك ؟ « تنظر اليه ثانيه » ابداً.

عثمان — إنتي وحدك اللى بتقولي يا عثمان فى البيت دا . لـكن شوفي التانيين بيعملوا ايه .
ان كانت خالتي امينه . حاسباني غريب . لأ . وتهماني انى انا اللى معتبرها غريبه !
قالوا لها امبارح اتفضلى اتغدى . قالت لأ . عثمان لِنّا بيشوفني ما بيا كلش . طلّعوا
لى الأكل فوق . قصدها تقوّم ابوىَ علىّ . وان كان ابويا دا يمكن يفوت يومين
والا تلاته مايكلمنيش كلمه واحده .

ليلي — يعني ابوك قاصدها معاك ياخى ؟ اوعى كده .

عثمان — مين عارف ! الدّي فى الودان سحر . والبيت دا كابس على قلبي .

ليلي — (مازحه) اطلع اتفسح . اهى الجنينه قدامك ؟

عثمان — (فى حزن شديد) أنهى جنينه دي اللي حا تفسح فيهـا « مشيراً اليها » دي المسخوطه
اللى قد الـكف ؟ هىّ دي جنينه ياليلى ؟ داحنا في الحلميه . دى ارض الحلميه
اصلها كوم سباخ اللي تزرعيه فيها ينحرق ويموت . بالك ؟ بتلقى فيها شجرة ورد .
طارحت ورده واحده ونشفت وماتت . هىّ دى جنينـه ! وبص كده للياسمينه
دي المرضانه . اللى ماهيـاش قادره تشّعبط على السور . هىّ دى جنينه ؟ ولما
يجى الليل وتطلّعى انتى تنامى . يطبـق علىّ قلبي . واخرج برّا . اتفسح فيها
الجنينه دى . وابص فوق راسى . ما الاقيش نجوم . حتى نجوم السما مابتنورش فى
البيت دا .

ليلي — « مازحة ولـكنها تكاد تبكي » ..هيه ! اجنبـا رجعنا للشعر تانى ؟ اسمعنـا انا بشوفهم
ياخوىَ النجوم دول . دانا مراقباك . ولما بتطلع انت الجنينـه . انا لاخرى بافتح
الشباك فوق . و ببستناك لغاية اما تدخل تاني وتطفى النور وتنام . . . . .

عثمان — تعرفى الحلميه دى كان اسمها فى التاريخ ؟ دي كان اسمها القطايع . قطيعه ! ! !

ليلي — هيه ! احنا خلصنا من الشعر مسكنا في التاريخ . اياك انت سقطت فى الامتحان
وقاعد تهدس فى الـكتب اللى سقطت فيها .

عثمان — ينعل ابو الكتب على ابو الامتحان على ابو الكاتب . سيبيني ياليلى انا روحي طهقت

ليلى — طهقت ليه ؟ هو انت عاوز كل الناس تحبك . والا ايه ؟

عثمان — لا انا مش عاوز كل الناس تحبني . لكن انا عاوز ماحدش يكرهني .

ليلى — انشالله اللى يكرهك ينطس في عنيه ! بس .

قوم ياخويا . قوم نام بدرى انت سخن شويه . روح ارتاح وفضك من دا كله . قوم.

عثمان — حاضر اديني قايم .

ليلى — « تمشى معه قليلا ثم تستوقفه » ماقلتليش . انت مارحتش سألت عن نتيجة الامتحان.

عثمان — لسا ماظهرتش . وقالوا اهي حاتظهر في الجرايد

ليلى — على مهلها اما تظهر . روح نام ياخويَ روح .

(يتجه الي غرفته . ليلى تستوقفه . ثم تقول هازئة)

اقلع هدومك قبل ماتنام . حاكم انت فيك عاده وحشه . تروح نايم بهدومك ؟

ومرزوق بيكفر على بال مايصحيك تانى . ويقلعك .

عثمان — « يضحك متألماً » حاضر . . . .

ليلى — « تقترب منه وتساعد الجاكته » والله مانت قالع لوحدك . ولا انت عامل حاجه . اقلع

الجاكته دى من دلوقتى .

(ترى عنقه مجروحاً)

ليلى — « مذعورة » . الله ! ايه دا ؟ . الله ! انت مجروح والا ايه ؟ مين اللى جرحك ؟

عثمان — « محاولا تقليل الاهمية » لا . مش حاجه .

ليلى — مش حاجه ازاي ! . دا ايه ياعثمان دا . . .

عثمان — مافيش حاجه بقول لك . انا اتخانقت مع تلميذ من التلامذه .

ليلى — اتخانقتم ليه ؟ جرى ايه ؟ مين هوّ التلميذ ده ؟

عثمان — ابن كاظم بك البنباشى .

ليلى — ابن نفيسه هانم ؟ بنت النقلي ؟ .

عثمان — هو بعينه . انا . كنت رايح النهارده علي شان اعرف نتيجة الامتحان . قام قابلني
في السكه وبص لي وقل لي . دى مش امك دى اللي فى اسكندريه . انا شفتها
فى الكازينو . مع واحد جرنالجي .
ليلى — طبعاً ! ما هو لتّات زى امه .
عثمان — بس ! انا ما استحملتش . قمت ضربته . وضربني
ليلى — تقطعه و تقطع لسانه . استنّى ياخويَ اما اربطها لكَ بمنديل . واروح اجيب لك
صبغة اليود .
(تتجه نحو علبة الحياكه . وتأخذ قطعة من قماش وتربط رقبته وهي تقول .)
ياباى! ياماظل الجدع دا تقيل. وابقي اعزمه لى تاني مره انت كمان! هو وشوية الجدعان
اللى . بتتلم عليهم دول . وقول ابعتوا شاى السلامات . ابعتوا بسكويت
للسلامات والنبي ماني باعته حاجه . انشالله ماطقح البعيد اللي ما هو قدامي
عثمان — « يضمها الى صدره وقبلها بحراره.وهو يقول » ياحبيبتي ! يا عنيّ ! ياعنيّ !
ليلى — اخص عليك ! . اخص عليك ! ما تكامنيش بق . هه . ما تكامنيش !
« تغطي وجهها بذراعيها وتبتعد عنه . وهي وتقول » ما تكامنيش .
سكوت
« عثمان يقترب من ليلى على مهل »
عثمان — انتى زعلتى ؟
« ليلى لاتجيب فيناديها بكآبة »
عثمان — ليلى ! ليلى ! انتى زعلتى ؟
(ليلى تكثر من لف يدها على رأسها . فيقول راضخا).
طيب ! ماتزعليش ! مابقتش اراجعها . سعيده ياليلى . حقك عليّ ماتزعليش .
« ليلى لاتجيب وتلح فى حجب وجهها » تصبحى على خير ياليلى . « ليلى لاتجيب ايضاً وهويتجه نحو غرفته »
ليلى — « تنظر اليه كأنها ملاك . وعلى فمها ابتسامة حب عميق »
لكن اياك انت تنام بهدومك . ياسى عثمان . زى عوائدك .

عثمان — (فى حزن شديد) حاضر . اهو .

(يخلع الجاكته . على مهل . فتسقط زجاجه من احد جيوبه فيسمع لها صوت .)

ليلى — دي ايه دى اللي وقعت من جيبك دي ؟

عثمان — « ببساطه » . دى قزازة الاجزا . بتاعة الفوتوغرافيه . « ثم يتناول الزجاجه من الارض »

ليلى — « شامته » انكسرت ؟ الحمد لله ! ذنبى . دا ذنبى .

عثمان — « فى حزن » انكسرت ؟ لا ما انكسرتش « ثم يدخل الغرفه »

المنظر الثاني

ليلى وحدها

تتجه نحو باب غرفة عثمان وترقبه ثم تقول :

ليلى — اهو بيتمشى رايح جاى . بيقلع هدومه . زى ما قلت له . اه . ها . اه . « تضحك »

المنظر الثالث .

(يسمع صوت محمد بك أمين من الخارج)

محمد — هيه ! ازيك يامرزوق ؟ الباشا لسا ما جاش والا ايه ؟ . عثمان هنا ؟ .

(ليلى تركض وتجلس بعيداً عن الغرفه وتأخذ حياكتها وتشاغل نفسها)

ليلى — « عنددخول محمد بك أمين من باب الوسط » . واحد . اتنين . تلاته . أربعة

محمد — اهلاً بليلى . ازيك يابنتي . طيبه . الحمد لله . دانتى وشك منور . الحمد لله . أمال عثمان فين ؟ .

ليلى — توك دخل ينام . باينه سخن شويه .

محمد — سخن ؟ لا لا . سلامة ابو عفان . سلامته الف سلامه . هى نتيجة الامتحان ، ظهرتش ؟ .

ليلى — هو ماراحش النهارده يسأل . وقال اهى تظهر فى الجرائد.

محمد — ما راحش يسأل ؟ . ما راحش ازاى ؟ احسن يكون سقط . ولا هواش قادر يقول مكسوف ولا حاجه :

ليلى — « غضبى » وان كان سقط ؟ . هي مصيبه كبيره ؟ والله ياخالى انتوا اموركم عجب !
حاتقهروه كمان على قهره ؟ مش بزياداه بقى . سقط سقط . هو مستنى الشهاده دي
على شان يتعشى منها والا ايه ؟

محمد — لأ يا بنتى . لأ . سقط سقط ! بس ما تزعليش انتى . ودا ايه دا ؟ دا ايه دا اللي
بتشتغلي فيه ؟ .

ليلى — دى كرافته لعثمان . حاهاديه بيها . حلاوة الشهاده .

محمد — بس ان خدها . الشهاده دى ؟ .

ليلى — ان خدها . وان ما خادهاش . حاهاديه بيها . بس . ان عجبكم .

محمد — طيب طيب ! ما تزعليش .ولا تقوليش الكلام دا قدام خالك الباشا.

ليلى — « تضطرب » ليه ؟ . ما اقولش الكلام دا قدام خالى الباشا ليه ؟ . هىّ فيها ايه ؟ .

محمد — « متلعثماً » على شان خالك الباشا ما هواش عايز انك . انك

ليلى — انى ايه ؟ فهمت ايه ؟ . « مضطربه » . قل لك ايه ؟ .

« سكوت »

ليلى — « في حزن عميق » ايه ؟ فهمت ؟ هلبـّت ما خالى الباشا قل لك دى ليلى كبرت .
وعثمان كبر .

محمد — ايوه . ايوه . يابنتى

ليلى — (متمة حديثها) ولا يصحش يقعدواهماّ الاتنين فى بيت واحد . والاحسن اننانشوف
لها مطرح تروح تقعد فيه . ونبعدهم عن بعض .

محمد — بسم الله الرحمن الرحيم ! ومين وصل لك الكلام دا كله ؟

ليلى — ماحدش وصّل لى كلام . لكن احنا اليتامى بنفهم من اشارة . من بصه .
من فكر . هوّ انا عبيطه ؟

محمد — لا يابنتى . ماانتيش عبيطه ! صحيح خالك الباشا قل كدا . وانتى رأيك ايه ؟

ليلى — مين ؟ . انا ؟ . رأيى ايه ؟

« سكوت »

ليلى — ما اروحش ! . . .

محمد — وانتي حاتروحي فين . انتى حاتروحي طنطا في بيت خالتك عيشه . خالتك ما عندهاش اولاد . وتستمنى .

ليلى — (في عناد كبير) ما اروحش ! ما اروحش ! ما اروحش ! هه بس !

محمد — لكن خالك الباشا بيقول . . لازم تروحي .

ليلى — (تبكي) بقى كني يتيمه من الاب والام . قاعدين تشطّروا عليّ . وترمونى من البيت دا للبيت دا ! ماحدش مستحملنى . كنت فى بيت شبرا . قلتوا لأ . تيجي تسكن مع مراة خالها امينه . وتبعد عن نورسكا . جيت هنا . قلتوا لأ . تروح تسكن مع خالتها فى طنطا . وتبعد عن عثمان . وبكره تقولوا لأ . تخرج من عند خالتها عيشه . وتروح مطرح ما تروح . ياعينى عليتاى ! تتقل على كل الناس .

محمد — بقى انتى يتيمه ياليلى . اخص عليكى يابنتى . دانتى فى حبابي عنينا من جوّه . دانا وخالك الباشا لما بنشوفك . زيّ اللي نكون شفنا المرحومه امك . بس يابنتى كلام الناس كتير . واهو كل واحد قايم حلقه من ناحيه . واهم بيقولوا دول سايبين الجدع والصبيّه فى بيت واحد . وخدى بقى على تلسين . وعلى كلام فارغ . مانقطع السنتهم يابنتى ونرتاح . دا علشان صالحك .

ليلى — على شان صالحى ؟ انا فاهمه ! يعني انتوا خايفين لاحدش يتجوزني من كلام الناس . عايزين تجوزونى بدرى قوى ياخالى ؟ كتر خيركم ! طبعاً اهو حمل وينزاح عن اكتافكم .

(سكوت)

« تنظر اليه كلاك وتقول فى حزن شديد »

. . انا مش حاتجوز ياخالى . . طمّن قلبك .

محمد — ودا كلام ايه دا ؟ . اهوا انتوا البنات بتقولوا كدا فى الاول . لكن بعدين
ليلى — « ترفع صوتها بالبكاء » لا بعدين ولا قبلين . انامش حاتجوز ابداً . سامع ؟ والنبي لو
قطعتونى حتت . انا ما اسيب البيت دا ابداً . بس .
محمد — ليه بس يابنتى . ليه العند دا ؟
ليلى — ليه ؟ . . .

المنظر الرابع

(يخرج عثمان فى ثيابه . ظاهر عليه غضب عظيم)

محمد . ليلى . عثمان

ليلى — الله ؟ انت مانمتش . انت رجعت لبست هدومك تانى والا ايه . الله ؟
(عثمان يقطع كلامها . ويقول فى غضب كبير . وغضبه يزداد رويداً رويداً .)
عثمان — انتوا عازين تبعتوا ليلى طنطا . عند عمتى عيشه ؟
« سكوت »
وانا ؟ حاتودونى فين انا لاخر ؟ مالقيتوش مطرح ترمونى فيه ؟
محمد — « رافعاً يده الى السماء » الله يسامحك ياهمام ! وانا كان مالى ومال الشبكه دى .
ماكنت انت تقولهم اللى عاوز تقوله .
اقول لك يابنى . انا مش شغلي . انا لا سمعت كلام النـاس ولا كلام حد . دا
ابوك اللى عاوز كدا .
عثمان — وماله . امره . ذى ماهو عاوز . وعاوزين تاخدوها امتى ؟ .
محمد — لأ . الآ دى . دا زى مايعجبها . لحد هنا و بس . تروح النهارده . تروح بكره .
على كيفها .
عثمان — بكره ؟ . بكره ليه ؟ « فى غضب عظيم » ما تروح النهارده
ليلي — « فى حزن وخوف » النهارده . النهارده ازاى ؟ .

عثمان — ايوه حالا دلوقتي . لسا فاضل ساعتين على وابور الصعيدى . قومي سافرى فيه .
اهو عمى محمد يوصلك . ابوى عاوز كدا .

ليلي — « في حزن » فى الليل ؟ أسافر فى الليل · ليه هو جرى ايه ؟ .

عثمان — ايوه سافرى في الليل ! روحي . اهربى زى اللى تكوني عامله لك عمله . اهربى .
وعصبى عنيكي علي شان ما تشوفيش ! وسدى ودانك على شان ما تسمعيش !

بسخريه .

ابوى عاوز كدا !.

ليلي — لــكن .

عثمان — « يتفجر ويبكى في آن واحد » . بلاش عندْ املِ ابقى اسمعى الكلام ! اخرجي من
البيت دا . اجرى . ارحمي . « ساخراً »
ابوى عاوز كدا ! .

محمد — « زاجراً » . عثمان ! الله ! دا ابوك ياعثمان ! .

عثمان — ولما تصلى طنطا . ابقى سلمي على عمتى عيشه . قولى لها عثمان بيسلم عليكى .
ابوى عاوز كدا .

محمد — (زاجراً) عثمان ؟ الله ؟ جرى ايه ؟ . انت ما كنتش كدا ؟ .

عثمان — (كالمجنون) ابوى عاوز يرتاح . ويريح مراته . ويريح اخوه . ويريحك . ويريح
كل الناس . ويريحنى . ويريحنى . قومى روحى بقولك . قومي ؟
وانا لاخر والنبى مانى قاعد ولا يوم فى البيت دا .

محمد — بس يابنى الكلام دا ليه . حاتروح فين .

عثمان — حاروح فين ؟ . ليه ؟ هوّ مافيش بيوت غير بيتكم دا . ولا فيش جناين غير
جنينتكم دى . البيوت كتيره . والجناين لاخرى كتيره .
(يشكّ يده من خلف ظهره على الطاوله ووجهه الجمور ويقول مترنماً)
فبأي آلاء ربكما تكذبان . فيها عينان نضاختان .

ليلى — هيه !.. احنا رجعنا للشعر تانى . دى ما كانتش صوره ياعثمان .

عثمان — دا ماهوّاش شعر ياليلى . دى صوره

ليلى — «مازحه» اسم الله ! بقي ما بتفهمش الصوره من الشعر . حاكم ما حدش بيفهم غيرك في البيت . طبعاً .

محمد — والله كلامك يا بنتي دا ماتلاقيهش الا فى الجنه . .

ليلى — « فى حزن وغضب » انتوا بتقولوا علينا ليه ياخالى . بعيد الشر . بلدى قوى ! ماحناش عاوزين لاجنه ولا نار .

محمد — بقى انا بقول عليكوا يابنتى؟ اقولك . انامش قادر عليكي انت وهو انا رايح لخالك الباشا

(يهم بالخروج . ليلى تقفز امامه كأنها غزال وتستوقفه وهى ضاحكه)

ليلى — والنبى ماتخرج وانت زعلان . ياسلام ياخالى محمد . هو دا يصح .

عثمان — « فى غاية الغضب » ماتسيبيه يروح لخالك الباشا . هو حايعمل لى ايه خالك الباشا . حا ياكلنى خالك الباشا .والا حا يطلقنى انا لاخر زى ما طلق امي

« مقلداً صوت ابيه » . بعدد القبور اللي اتفتّحت من آدم للنهار دا ! . كلام ! كلام منتى . كان محوّشه ابويا لاجل ما يتفه فى وش امى .

المنظر الخامس

يسمع صوت همام باشا من الداخل .

همام — عفارم عثمان ! عفارم ! انا مش قايل لك

يدخل همام . وامينه . همام يقراء جريده فى يده

المنظر السادس

همام . امينه . محمد . ليلي . عثمان .

همام — عفارم عثمان ! . الجرايد ظهرت . عثمان ناجح . اسمعوا

ثم ينفحر الجريده ويبحث فيها

همام — المدرسه التوفيقيه . نمرة ٩١٥ . الخامس فى الناجحين ؟ . نمرة عثمان ٥١٩ .

عثمان — لا يا بابا . مش الخامس . دى نمرة الترتيب متسلسلة بالاحرف

همام — (يضمه اليه) على كل حال عفارم ! انا كان املي فيك كدا برضه .

ليلى — « بين البكا والفرح » يا مكار ! انت كنت عارف و بتخبي علينا

همام — انا حاعمل لك هديه تعجبك

محمد — وانا . . وانا كمان

امينه — وانا . . وانا

همام — بكره تلاقى اتومبيل جديد علباب . مخصوص لك . خلاص .

عثمان — « فى ابتسامه صفراء » بكره ! .

محمد — وانا حاجيب لك ساعه كرونومتر دهب . دقاقه . بكره الصبح تكون عندك . مرحبا بك يا بوعفان .

عثمان — بكره ! . بكره !

امينه — وانا حا اهاديك بايه ياترى ؟

عثمان — انتى ياخالتى . اقولك . هاتيلى طاقة حرير ابيض . افصلها قمصان .

امينه — حاضر من عنيٍّ . بكره الصبح تكون عندك .

عثمان — بكره ؟ بكره ؟ كل حاجه لبكره ؟ ما عندك طاقه اشتريتها النهارده بس . ما تديهالى .

امينه — دول كام متر كريب دشين ابيض .

عثمان — اهم دول اللي انا عايزهم . دول عز المطلوب .

ليلي — وانا ؟ يا قُصر يدى . ما عنديش الآ الكرافته دى .

(تشير الكرافته وترفع صوتها بكل جراءه) اللى اشتغلتها لك ! مخصوص على شانك .

عثمان — آه يامكيره . والخاتم اللى جابوهلك خالك محمد من كم شهر ؟ الخاتم اللى كنت
خطفته منك . وفضلتى تعيطى لغاية اما خدتيه تاني

ليلى — (تنزع الخاتم من يدها وتضعه في اصبع عثمان)
اهو ! حاضر . من عنيّ . ياسلام

عثمان — (فى حزن) اه . اه . اه . وانا حالبس خواتم بنات ياعبيطه (برفق ينزع الخاتم ويرجعه لليلى)
خديه ياختى خديه . بزياده الكرافته .

(ثم يقول)

اه . ياراسي .

همام — راسك ؟ . مالك . . عيان ؟

ليلى — ايوه . هوّ سخن شويه . .

همام — انت سخن ؟ طيب قوم ارتاح . اديك خلصت من الدوشه الكبيره . . خد لك
سنه بزيها فسح . .

(عثمان قبل أن يدخل غرفة النوم يسلم عليهم واحداً واحداً)

عثمان — سعيده يا بابا .

همام — سعيده يابني .

عثمان — سعيده يا خالتى .

امينه — سعيده ياعثمان بك .

عثمان — سعيده ياعمي محمد .

محمد — يسعد مساك يابنى . نوم العافيه يا بوعفان

عثمان — سعيده ياليلى (هذه الجملة تخرج كأنها اخر نفس)

ليلى — « وقلبها يكاد ينفطر » يسعد مساك ياخويَ .

عثمان يهم بالدخول فتقول ليلى

ليلي — « فى حزن وضحك » يا مى عثمان ! . ماتنامش بهدومك . زى عوايدك !

ينعبون جيعاً ويراقونة الى باب الغرفة .. ثم يعودون

المنظر السابع

همام . امينه . ليلى . محمد

همام — آه ! الحمد لله . هيه ياليلى . خالك محمد قالك يابنتى ..

ليلي — (مطرقه للارض) نعم . قالى يا خالى

همام — ايوه يابنتى . سافرى لخالتك عيشه . احسن من كلام الناس .

ليلي — (تطرق ولا تجيب .)

همام — انتى زعلانه ؟ . يعني هناك ايه . وهنا ايه ؟ هنا بيتك . وهناك بيتك يابنتى . وخالتك عيشه زى امك . وانا ابقى اروح اطل عليكى برضه وانتى تجيلنا . ولا فيش حاجه تتغير ابداً

ليلي — « بحزن » ربنا يخليكم ياخالى . الكل بيوتك . كتر خيرك

همام — وحاتسافرى امتى ؟ .

محمد — (غاضبا) لا ! دا على كيفها ! ماحدش يغصبها ! والنبى ما حد يغصبها ابداً ..

همام — « بغضب » خليك ساكت أنت .

محمد — لا والنبى . ماحد يغصبها ياهمام ! هو جرى ايه فى الدنيا ؟ تفضل كم يوم لغاية اما تفصلها كام فسطان تاخدهم وياها . ولا نكسرش بخاطرها ابدا .

همام — (غاضباً) المدوم تبقى تفصلهم فى طنطا . بكره الصبح لازم تسافر . انت سامع .

محمد — (ملحاً) والنبي ما تسافر الا لما تنزل مع سنيه وتشتري لها اللي هى عايزاه .

همام — «بصوت عسكرى» ابداً ! لازم تسافر بكره . خلاص ! الله ! كلام ايه دا ؟

ليلى — (تقطع كلامهما وتقول فى خوف ووجل وهي تصغى) هيه ! سمعتوش حاجه ؟ اسمعوا !

(كلهم يصغون)

همام — لأ مافيش حاجه . « ويعود الى كلامه السابق » لازم تسافر بكره . انا كتبت لعيشه تبعت واحد يستناها على المحطه بكره .

محمد — انا اضرب تلغراف لعيشه اقولها ليلى تأخرت

(في هذه اللحظه يسمع صوت من داخل غرفة عثمان)

عثمان — امي ! !

ليلى — « في غاية الاضطراب وبصوت عظيم » الله ! . دا ايه ! . .

(تركض الغرفه وتفتحها . فيظهر عثمان يتلوى واضعاً يده على صدره)

عثمان — امى ! . نار ! . .

ليلى — « بصوت عظيم جداً » اه ! ادي اللى كنت خايفه منه .

عثمان — امى ! . نار ! . « يرتمى على عنق ليلى وضمها لصدره » ليلى ! نار !

ليلى — «تصيح» دا سم نفسه بقزازة الفوتوغرافيه ! قتلوك ياخوىَ !

همام — « مذعوراً يقترب ويأخذ ابنه . ويسنده ويتقدم معه لناية المقعد »
سم نفسه ! سم نفسه ! ازاى ؟ مين قال كدا ؟ ليه . ليه يابني . ليه ياعيني .

محمد — الله ! . ازاى . ليه ؟ ليه يابنى . « يبكي »

عثمان — امى ! . امى ! .

(كلهم يروحون ويجيئون مذعورين وفى حالة رعب شديد .)

ليلى — آه . آه . امه . بينده امه !

امينه — يادي المصيبه ! تقطعنى !

ليلى — « تنظر الى همام وتصيح في وجهه » هات له امه ؟ هات له امه مطرح ما وديتها ! .

همام — « فى حزن شديد مسنداً ولده » امك ؟ هى امك فين يابنى ؟ ماهي هنا ياروحى . هو انا سيبتها ؟ انا طلقتها ؟ . ابداً كداب اللي قالك . انا ما سيبتهاش . انا ما طلقتهاش مين قالك ؟ ابداً . اجيب هالك حالاً . ترجع بيتها تانى . ليه ياعثمان . ليه يابنى ؟ بكره الصبح تصل امك . شد حيلك يابنى

ليلى — «كالمجنونة» اه . اه . اه . اتجوزوا وطلقوا . اتجوزوا وطلقوا ! طلقوا واتجوزوا ؟ وموتونا انتوا !
خدونا برجليكم . ولا تسألوش . اه . اه . اه .

همام — خدوا البنت دى من هنا . قطعت قلبي . . . وقضلت اقول أولادنا ما بيقتلوش نفسهم . وقعت عليك يا ابنى

يصيح

يا محمد ! اضرب تلغراف لامه ! . امينه ابعتى اندهى الحكيم ! . الحكيم ياناس ! .

(امينه ومحمد يخرجان)

عثمان — امي ! نار ! . « يتدحرج الى الارض »

ليلى — « كالمجنونه » يا حبيبى ! قتلوك ورموك على باب أوضتهم ياخوى ! آه . آه .

همام — «يروح ويجيء كالمجنون» دول سابوني وحدي مع البنت دي . ياهو ! ياناس ! انتوا فتونى وحدى مع البنت دى ؟ .

(ليلي تجلس على الارض وتاخد عثمان فى حجرها وتصيح بصوت كأنه ولولة)

ليلى — وبرضك نمت بهدومك ياعثمان ياخوي ! . اه اه . اه

الستار

الفصل الرابع

نفس ستار الفصل الثالث واثاثه .

المنظر الاول

همام . امنية ملتمه . الدكتور عبد الواهاب

امينه — ايه العمل يا دكتور ؟ مافيش حيله ؟

الدكتور — ليلى هانم مصابه بارتجاج عنيف يا هانم . اعصابها تعبانه غاية التعب . والذهول اللى هي فيه دلوقتي حايستمر مده طويله . والواجب انكم تمشوا على الوصفات اللى وصفتها لها فى غاية الدقه .

امينه — حاضر يادكتور ! لكن مش حا تديها حاجه تشربها .

الدكتور — لا يا هانم . الادويه اللى بتنشرب دى ما منهاش فايده فى حالة ليلى هانم . اللى وصيتكم عليه ارجوكم تعملوه . الراحة التامة . الهواء الطلق ليل نهار . بعدها عن كل انزعاج مادى وادبي .

همام — « يروح ويجيء وهو فى غاية الحزن الكآبه »

امينه — ياترى حاتطيب يادكتور عبد الوهاب المسكينه دى ؟

الدكتور — احنا ياهانم اللى فى ايدنا الدوايس . لكن الشفا . الشفا عند الله . وربنا ماعلهش شيء عسير ياهانم .

امينة — وان وديناها الاسبتاليه ؟ ايه رأيك يادكتور . ؟

همام باشا — « مذعوراً وحزيناً » الاسبتاليه ؟ اسبتالية ايه ياهانم ؟ هوَّ احنا بناتنا تروح الاسبتاليات ؟ اعوذ بالله ! لا ياهانم لا !

دكتور — حتى احنا هنا ما عندناش اسبتاليات تنفعها . ليلى هانم لازم تنخدم بالحلم والحنو والرأفة . واحنا فى اسبتالياتنا ما عندناش لاحلم . ولا حنو . ولا رحمة . ياهانم .

(ينهض)

دكتور — « متماً كلامه » حتـاش تبعتوها اوروبا ؟ في محل من المحـلات المخصصة للامراض العصبيه. يمكن . لـكن الاحسن انكوا تخلوها هنا. قدام عنيكم وتلاحظوها بنفسكم. دا احسن شيء ياهانم .

همام — (بحزن) من فضلك تفوت علينا كل يوم يادكتور . ماتسيبناش

دكتور — حاضر . ياباشا . حاضر . لـكن انت كمان يا باشا ما ينفعش الحزن اللى انت فيه دا لازم تشد حيلك . وتقـاوم الانحطـاط الادبي اللى انت فيه . مش عوايدك تبقى كدا . ماتنساش انك عيان .

همام — حاضر ! كتر خيرك !

(الدكتور ينحني امام امينه هانم . ويسلم على الباشا وينصرف)

المنظر الثانى

همام . امينه

(سكوت طويل)

امينه — ايه العمل يا باشا ؟

(سـكوت)

امينه — مالك ياهمام . ماتتكلم ! قول حاجه ! فرّج عن قلبك شويه . سكوتك دا.

همام — (كأنه خارج من حلم) هيه ؟

امينه — بقول السكوت دا مامنوش فايده . اتكلم . اتحدت .

همام — بس حاقول ايه ؟ حاعمل ايه ؟ ايه طالع بايدى ؟ الواحد منـا يستحمل يستحمل يستحمل . لـكن ييجى يوم عزيمته تبطل ويترمى من طوله .

امينه — تسمح لي انا اتكلم ياباشا ؟

همام — (بحزن) اتفضلى ياهانم ! اتكلمى . قولى .

امينه — بس ماتزعلش . خذ كلامى للاخر .

همام — اتفضلى قولى ! فيه ايه كان !

امينه — بقى انا من يوم مادخلت بيتك . انت ماشفتش يوم راحه . .

همام — (يقطع كلامها) بس انا فاهم اللى حا تقوليه يا امينه . ما تكمليش ، من يوم ما دخلتى البيت ذا جرى ايه ؟ هوّ انتي اصل السبب فى اللى حصل دا كله ؟ مين قال كدا ؟ لا يا امينه ! شيلى الفكره دى من بالك . انتى من يوم ما دخلتى البيت دا . ما قلتيش كلمه واحده . ولا عملتى اشاره واحده . ولا افتكرتى فكر واحد . سبّب للبيت دا اى ازعاج .

امينه — بس انا بقول . . . .

همام — (يقطع كلامها) ماتقوليش حاجه . اصل السبب فى اللى حصل دا كله انا . انا اللى زرعته من عشرين سنه . بحصده النهار دا .

امينه — ليه ؟ انت ماعملتش إلا كل . .

همام — (يقطع كلامها) إلا كل عمل بطال . من عشرين سنه قلت كلمه واحده ظالله . دي ما كانتش كلمه !

دى الكلمه الظالله دى ماهياش كلمه ! دى جرثومة مرض جارف . خرج من بقّ . وفضل يولّد ويكتر ! يولّد ويكتر ! لما انتشر فى البيت دا . وعدا كم كلكم . ولا خلاش حدسليم فيكم . اللى اتصاب . واللى حايموت . واللى مات .

دي الكلمه الظالله دى ماهياش كلمه . دي رصاصه . لكن الرصاصه بتقتل قوام . فى لحظة واحده في ثانية واحده . لكن الكلمة الظالمة تلف وتكبر ! تلف وتكبر ! لما تبقى قد الجبل . وتنزل على قالها تقتله . والا على بيته تهده .

دي الـكامه الظالله دى ما هياش كامه . دى شراره . لما الفك دا يطبق على الفك دا . تخرج الـكامه الظالله من بين الاسنان . زى ماالشراره تخرج من بين حجرين . وتخش فى بيت اللى قالها وتـكن . وتلبد فيه وتـكن . وتاكل فيه على مهل وتكن . وتحرق فيه شويه شويه وتكن . لغاية اما ييجي يوم يخوخ . ويسجد لوحده ولما ليه تحصل الجو .

انا كنت استهونت اللعب بالنار . وكانت النار حرقت صوابعى . وبعدين مسكت فى هدومى . وبعدين شبطت فى البيت دا . وحاييجى يوم يقع على وعلى فيه .

امينه — بعيد الشر . سلامتك ياسيدى . كلام اليأس دا ليه ؟ سلامة البيت دا . وانتوا عملتوا ايه إلا كل طيب . ان كان انت والا اخواتك . الـكامه اللى قلتها دى ما انتهينا منها وعوضت عنها الف مره وزياده ياهمام . ليه بقى اليأس دا ؟

همام — انا كنت افتكرت انى عوضتها صحيح ! وانصفتك . ودفعت الدين اللى استندته منك من عشرين سنه ! اتارى لا . ماانصفتكيش . دانا ظلمتك تانى مره . ودخلتك فى بيت مايل . وحايقع . لاجل اما يقع يقع عليكى انتى لاخرى . انا افتكرت ان ربنا حايسامحنى . اتارى لا . ربنا واقف بالمرصاد . والعمل اللى بنعمله فى الدنيا دى ييجي يوم ونتحاسب عليه . فى الدنيـا دى برضه . في الدنيـا دى . قبـل ماانتحاسب عليه فى الاخره . قل من يوم ما دخلت البيت دا ! وانتى ذنبك ايه يا مسكينه . هو انتى اللى جيبتى لى نورسـكا هو انتى اللى قلتيلي طلقني . انا اللى جبت كل دا بايدى . ليه ؟ اصله ايه ؟ جبته ليه ؟ ظلم . ظلم . قام ربنـا قال لى هو انت عامل لى جبار فى الدنيا دي ؟ استنى اما اوريك مين الجبار فينا ! . انا والا انت !

امينه — ابداً . ابداً . لـكن انا مسامحه . انا حقي نوصل لى . مين بيطالبك ؟ ماحدش !. انت بتطالب نفسك ليه يا همام ! . ربنا بيتوب علتايبين يا همام .

همام — صحيح ربنا بيتوب علتايبين . لـكن لازم يتوبوا بالعجل . لازم يتوبوا قبل ماهو يبتدى فى انتقامه . ربنا ما بيدلعش حد يا امينه .

ماله وان كنتى انتى مسامحه . ما هو على شان انتى سامحتى قام هو انتقم لك. ياريتك ما سامحتيني ! ياريتك خدتى حقك بايدك . كان سكت عني . وقال اهي خدت حقها بنفسها . لكنه سبحانه بياخد طار كل مظلوم . وخصوصاً . خصوصاً طار المظلوم اللى بيسامح . واهو عمال يجازيني من عملي . عملي نفسه رجع وبال عليّ . هو قال كده . هو قال كده سبحانه من زمان لكن انا مافهمتش الا دلوقتى . لما استحقيتها . واهو عمال يسقيني المر . ولسا ! ولسا !

(يقول هذه الجملة الاخيرة وهو يتقطع حزناً)

امينه — (تمسح عرقه وهى تقول) . بعيد الشر ! . بعيد الشر ! . ربنا ما يوريك بقى الا كل خير .

هملم — كل خير ! كل خير ! والخير دا حايجيني منين . ما دامت المره دى طيبه . عملي عمل الشر متجسم لي فى المره دى . ومش حاشوف خير ما دامها طيبه ! انتى ما عرفتيش اللى عملته ايه من جديد ؟

امينه — عارفه ! عارفه ! يجازيها البعيده !

همام — سرقت ورق الانصارى بك . اللي كنا خدناه انا والضباط من دوسيه المجلس العسكرى وخبته عندها . ولما مات عثمان راحت سلمته لقريبها . صاحب الجريده في الاسكندرية . والجريدة دى ابتدت تهددنى . وتتوعدني .

امينه — وهوّ دا عيب ؟ . وماله ؟ هيّ فيها ايه ؟ مش جمعيه سريه ؟ هوّ انت والضباط كنتوا بتسرقوا والا بتنهبوا .

امينه — انتى ما بتفهميش الحاجات دى ياامينه .

« يتفجر وصوته يخالجه البكاء »

ساعديني يا امينه ! خدى بايدى ياختى ! انا وقعت . سلمت سلاحى ! خلاص . غلبتني المره دى . ابنى راح ! وليلي اهي مجنونه . وكل ما تمشى خطوه فى البيت دا

زى اللى بتقول يارب انتقم لى . واخواتي عشر ضباط حايروحوا . حاتنخرب بيوتهم. ومين اللى عمل دا كله . انا . انا وحدى . انتي مالكيش ذنب . هوّ انتى عايزه تظلمى نفسك كان مرّه ؟ ما كفانيش ظلم . ومين اللى حايخلصنى بقي من عدله ؟ مين ؟ . مين ؟ .

(سكوت)

(همام يبكى بكاء صامتاً)

همام — انتى كلتى محمد اخويَ بالتلفون ؟

امينه — نعم . وقالوا لى خرج . جاى على هنا

همام — طيب ! اول ماييجى سيبينى وحدى انا وياه . عايزين نشوف ايه اللى حانقدر نعمله فى المصيبه الجديده . اللى رمتنى فيها قليلة الدين دى ! الكافره !

المنظر الثالث

تدخل سيده الخادمه

سيده — اتفضل .

المنظر الرابع

(يدخل محمد حزيناً وفي يده اوراق وجرائد)

همام . امينه . محمد

محمد — (فى حزن كبير) سعيده . سعيده ياامينه

امينه — سعيده يامحمد بك . انا خارجه . سايباكم فى شغلكم . (تخرج)

(سكوت)

محمد — انت قريت الجرايد ؟

همام — أيوه . قريتهم . لكن احنا عندنا شغل تاني اهمّ من الجرايد .

محمد — لا مش جرايد امبارح . دول جرايد النهار دا . قريتهم ؟

همام — مايهمونيش . خليهم عندك . بعدين تقراهم . وريني الرسومات اللى جيبتها دول

(محمد ينفعر امامه بعض الاوراق . همام ينظر فيها ملياً)

همام — طيب يامحمد . الرسم دا احسن من غيره

(مشيراً الى الرسم)

اوضتين هنا . وهنا اوضتين تانين . طيب ! هنا الحمّام والمنافع . طيب ! بس الاوضه دى كان لازم تكون اطول من كدا . على شان تسع كل اللوازم . الحمّامات . والآلات الكهربائية . والدوش النروجى .

محمد — حاضر .

همام — والحيطان . لازم تكون مبطنه كلها بالجلد الحشى قطن . كلها . على ارتفاع مترين.

محمد — والتبطين دا ليه ؟ ماهى هاديه دلوقتى .

همام — (بغضب عصبى) ماتضايقنيش ! هىّ دلوقتي هاديه . لكن مين يعرف بعدين حايجرى لها ايه ؟ . .

محمد — حاضر . ماتزعلش ! . . .

همام — اكتب لاختك عيشه . فهمها كل حاجه . وانا كتبت كان . لازم تسيب طنطا . وتيجى هىّ وجوزها هنا . يسكنوا فى مصر معانا . فى البيت دا . على شان عيشه تلاحظ المسكينه دى . بنفسها

محمد — لكن ما امينه ! .

همام — « فى غضب عصبى » . اسكت ! الليلى لازم ترتاح ; لازم نكون كلنا فى خدمتها . انا وانت وامينه وعيشه وسنيه . كلنا انت سامع .

محمد — حاضر ياهمام ! . حاضر ! . دى بعنينا .

همام — المصاريف اللازمه الحاجات دى . ضيفها على حسابى . كلها .

محمد — ما هى لسا باقى لها الفين جنيه .

همام ــ بقولك ضيفها على حسابي . الله ! فلوسها يفضلوا لها . ما حدش يقرب لهم

محمد ــ حاضر

همام ــ « يرفع صوته باكياً » على شان خاطر عثمان يا محمد ! دي حبيبة عثمان يا محمد !

محمد ــ « يبكى بكاء صامتاً » حاضر . حاضر .

همام ــ الشقه دى لازم تنفرش كلها بالحرير الابيض . كلها . قد ما تكلف ضيف كلفتها على حسابي .

محمد ــ حاضر

همام ــ واجتهد ان كل دا يخلص بالعجل فى اسبوعين . والاّ تلاته بالكتير . ادفع الطاق اتنين . تلاته . زى ما يكون . وشهل الشغل دا .

محمد ــ حاضر .

همام ـــ انا عاوز اشوف البنت دى مرتاحه . مش قادر اشوفها دايره فى البيت دا زى الخيال . قطعت قلبي من جوه ! قطعت قلبي !

محمد ـــ حاضر ! حاضر !

همام ــ انا عارفك بتهمل . احلف لى ان كل دا يخلص فى جمعتين .

محمد ــ والله ! كل الشغل دا يخلص في جمعتين . وحياتك انت .

. سكوت طويل

همام ــ ايه اللى بتقوله جرايد اليوم ؟ وريني !

محمد ــ الحكومه قبضت على الضباط الموجودين في اسكندريه . حسنى . وفهمى . وزكى . وحولتهم على مجلس عسكري .

همام ــ بنت الكذب ! بنت الكذب ! خربت بيوت الناس الله يخرب بيتها.

محمد ــ وانا خايف لا الحكومه تقبض على الضباط اللى هنا .

همام ــ « ينفجر » المساكين . الغلابه ! دلوقتى يبجوا . زمانهم جايين لاخوهم همام . اللوا

همام باشا . يقولوا له احنا وثقنا بك . احنا وضعنا فى ايدك ارواحنا . واولادنا . واهلنا . عملت فى كل دا ايه يا همام . يا باشا . حاقولهم ايه ؟ حارد عليهم بايه ؟ اقول لهم همام اخوكم ساب الورق فى الدرج . ونام . قامت مره سرقته ؟ . . ومين يصدقنى ؟ وان قالوالى انت بعتنا . انت قبضت تمن دمنا ودم اولادنا . دى مراتك اللى سرقت الورق . ارد بايه ؟ اقول ايه ؟

سكوت طويل

همام يصمم على امر عظيم . تظهر عليه علاماته . ويقول

همام — محمد ! محمد ! قوم حالاً روح للانصارى بك . وقابله . قل له ماتخافوش . الورق اللى اتسرق دا كله بخط همام مافيش ولا حرف بخطكم . انكروا . انكروا كل حاجه . خليهم يتهمونى انا وحدى . وأنا انحلت علىعاش من زمان . المجلس العسكرى ماعادلوش شغل معاى .

محمد — والنبي ؟ بخطك ؟ بقى عال . بقى المجلس العسكرى ماهوش مختص على كده .

همام — (فى حزن عظيم) لكن فيه مجلس تانى . اقوى من المجلس العسكرى بتاعنا يامحمد .

محمد — حاضر . انا رايح اطمنهم . وان سألونى وقالوا همام باشا فين . اقول لهم ايه ؟ .

همام — « فى حزن » ان سألوك . وقالوا لك همام باشا فين ؟ قول لهم . قول لهم مشغول شويه بيعمل حساب اليتم ! .

محمد — حاضر . .

همام ينهض ويعانق اخاه طويلا

المنظر الخامس

(همام وحده يفكر قليلا . ثم يتجه الى الباب ويغلقه)

ثم يجلس وراء المكتب . ويتناول ورقة ويكتب على مهل .

ثم يقرأ ما كتب بصوت عال

همام — حم القضاء يامحمد . . فلن تقرأ كتابى هذا الا وانا ميت .

هالك وصيتى . فعها . وقل لعائشه : همام اخوك يقرأ عليك السلام و يقول : اجيزيها . لا تدفنونى مع عثمان . ليس من العدل ولا من الرحمه. ان يكون القتيل وقاتله فى لحد واحد .

أى اخاف ان اعكر عليه صفاء نعيمه .

اوصيك خيراً بامينه . فقد أصابها منى الارمل مرتين . لها نصف مالى فلترجع الى أهلها موفورة الكرامه .

اوصيك خيراً بليلى . بليلى حبيبة عثمان . فقد اصابها التيم ثلاثاً . . لها نصف مالى . وانا راحل فى يوم . هي احوج الناس فيه الى والد . فكنه لها يامحمد . أجز وصيتى فيهما . وأكرم مثواهما . واخفض لهما جَناحَ الذّلِ من الرّحمة .

يأخذ الورقه على مهل ويطويها فى غلاف وهو يقول .

واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ! !

انا سمعت الكلام دا فين ؟

يهز رأسه كمن لايذكر شيئاً . ويقول :

مش فاكر . مش فاكر .

ثم يتناول مسدساً من الاسلحة المعلقة ويردد قوله

واخفض لهما جناح الذل من الرحمة

المنظر السادس

يدفع الباب على مهل فتدخل ليلى كأنها شبح فى ثياب سود . ووجهها أبيض بياضاً خالصاً وتتجه الى باب غرفة عثمان . فتقف

فى ذلك الوقت يكون همام قد اختبر المسدس . وهو يردد جملته

ليلى — « تنادى بصوت ضعيف . ولكن نداءها طبيعى كأنها تنتظر جواباً . »

عثمان ! . عثمان ! .

همام — يرمى المسدس من يده ويذهب اليها

يا حبيبتي يا بنتي . ياعيني يابنتي . ليه كدا بس ليه . ليه ياروحى ليه ؟ تعالى معاى ياختي . تعالى.

« يأخذها برفق كثير من يدها ويجلسها فوق أحد المقاعد وهو يجلس فى قربها . »

اموت انا يارب ! وافوت البنت دي على مين ؟ لا ياختي ابداً. ماموتش واسيبك . ذنبك فى رقبتي يابنتي . انا اللي وصلتك الحاله دى ياحبيبتى . ذنبك فى رقبتي . ما كفانيش اللى عملته . كنت حارتكب النهار دا ذنب اكبر من اللى فاتوا كلهم . اعيش ! اعيش ! اخدك واهرب . اهرب الليله ! دلوقتى حالاً . اروح اسوح فيكي . ولا ارجعش الا اما اطيبك . وترجعي زى ما كنتي . مالي ودمي فداكي ياعيني . ماسيبكيش ابداً يابنتي . ابداً . ورحمة عثمان .

« يناديها » ليلى ! بصى لى ياختي . ردي عليّ يابنتي . ليلى ! .

(فى هذه اللحظه تدخل نورسكا)

المنظر السابع

همام . ليلى . نورسكا

« نورسكا تتقدم فى عنف حتى تصل الى همام . فيراها »

همام — « يحاول النهوض » هيه ! .

نورسكا — عثمان فين ياهمام ؟ .

همام — « مذعوراً » هيه !

نورسكا — « بصوت عظيم » تلغرافك وصلني متأخر ياهمام . عثمان فين ؟ انا عايزه اشوفه !

ليلي — (بصوت ضعيف وهي تبتسم) عثمان ! عثمان نايم بهدومه ياستي جوّه !

نورسكا — « بصوت عظيم » هوّ انت قتلت دى كمان ؟

« تمد يدها الى صدرها فتأخذ مسدساً وتطلقه على همام . فتصرعه »

— ويتنزل الستار على مهل —

